رحلة إلي عمق الكون

رواية من أدب الخيال العلمي

تأليف

محمد أمين

إهـــداء

إلي ..

من تملكت منى القلب والروح والوجدان

إلي ..

أغلى من حبيبتي .. زوجتي

إلي ..

زهور حياتي

مروه

صفاء

أحمد

آلاء

المؤلف

مقدمة

نتج عن توحيد النظرية النسبية مع ميكانيكـــا الكم ظهور نظرية الأوتار الفائقة التـــي تعـد بمثابة أعظم النظريات الحديثة التـــي غـيرت الفكر حول مفهوم الكون في هــذا العصـــر ، وجعلت منه منظومة مقبولة للعقل منذ أن كان مفردة منعدمة تحولت إلى الكون الذي نعيشـــة بعد الانفجار العظيم وظهور الثقوب الســـوداء والنجوم النيوترونية والتوقع الاحتمالي بوجـود مخلوقات أكثر تطوراً منا وأخرى أقل تطـوراً في أنحاء شتى بالكون .. ونظريـــة الأوتـــار الفائقة بينت أن المكون المادي للكون نشأ مـــن العدم وسيعود إلى العدم ، وتتألف مادته مـــن متذبذبات في حالة موجية .

المؤلف

سألت إيديا التى تجلس إلى جوارى ، بينما يداى تقبض على مقـود السيارة بثقة ، حينما كنا نتجة إلى القاعده الفضائية :

ــ أتدرى يا إيديا كم عمر الكون ؟ .

ــ أعتقد أنه أكثر من أربعة عشر مليار سنة .

ــ أنت لم تستفيدى إذن من محاضرات الدكتور جيان .. فـــالكون الشامل ليس له عمر محدود .. أو ليس هو محدود بزمن .. أما الكـــون الذى نعيشه الآن ، هو حالة من حالات التغــير والانتقــال المحــدودة بالزمن .

فقالت إيديا كأنها تراجع معلوماتها :

ــ والانفجار العظيم .. أليس هو لحظة إنفجار الكون ؟

ــ لا بل هو لحظة الانتقال إلى الشأن أو الكيـــان الكونـــي الـــذى نعايشه الآن .

ــ إذاً ما هى الحاله السابقة التى كان عليها ؟

ــ سأشرح لك بالتفصيل شيئاً يتطلب منك تركيز وتعمـــق .. لـــو إفترضنا أنك تركبين سيارة كبيرة الحجم وطويلة نسبياً ، وتســـتطيعين التحرك سيراً بداخلها للأمام ، وإلى جوارك سيارة صغيرة تسير بنفــس سرعة السيارة الكبيرة ، فإذا نظرتي إلي السيارة الصغيرة فقط وأنـــت ثابته دون حركة ، ستشعرين أن السيارتين تتحركان كجســـم واحــد ، كأنهما مرتبطين بقوى وهمية .. ثم لو إفترضنا أنك تســـيرين للأمـــام

داخل السيارة الكبيرة ، ونظرتي إلى السيارة الصغيرة ولها أيضا نفس سرعة الكبيرة ، ستشاهدين شيئا آخر مختلف ، وهو أن السيارة الصغيرة كأنها تسير للخلف أى عكس الإتجاه الذى تسيرين فيه .

فقالت إيديا محاولة إقناعى أن ما قلته ليس له علاقة بحالات تغير الكون:

ـــ إن ذلك هو أسلوب الحركة الميكانيكية ، ذات السرعات البطيئة في وجودنا ، فما علاقة هذا بذلك ؟

فاستجمعت معلوماتي ، وقلت بثقة :

ـــ تعلمين تماما أن وجودنا مرتبط بالأحداث الكونية .. وتعلمين أيضا أن الكون يتمدد بسرعة الضوء فكذلك نحن نتمدد معه مكتسبين نفس سرعة التمدد ، مم يؤهلنا أن نرى الكواكب والنجوم وجميع الأشياء على حالها هذا الذى نحسه ، فنرى حبيبات الضوء التى تسمى فوتونات علي شكل أطياف ليست لها كتله ، وبمعني أدق ، فإن المكونات الكونية الحالية علي نوعين ، أحدهما مادى و له كتله ، و الآخر معنوى ليس له كتله كالموجات الكهرومغناطيسية ومنها الضوء لو إفترضنا أننا نتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، علاوة على تمددنا السابق ذكره ، سنرى هذا الكون بشكل آخر .. أولا سنخترق حاجز الزمن .. لنرى الضوء هذا وقد تحول إلى أجسام مادية صلبة ذات كتله ، أما الكواكب والنجوم فسيكون لها شأن آخر .. سوف تتجاذب إلى بعضها البعض لتتحول إلى شئ ما مثل الثقوب السوداء ، أو إلى كون آخر موازى .. وسيظهر أنواع غير مادية أخري من الضوء مختلف عن ضوئنا هذا .. وكأن الحدث يمثل تماما إنفجارا عظيما يتولد عنه كونا جديدا ومن نوع آخر .. وهكذا ....

ثم نظرت إلى آلة الزمن التى أحملها فقلت منبها ايديا :

ــ ياه لقد تأخرنا كثيراً عن موعد الإجتماع .. يجــب أن نســرع ، فلدى شعور أنه سيكون هام جدا ، ويمثل نقطة تحول فى حياتنا .

فسألت ايديا :

ــ تعتقد أن رئيس القاعدة وقع إختياره علينا للسفر إلـــى الســوبر نوفا وعلاج جيان ؟

فهمهمت قائلا :

ــ لقد وعدنا من قبل .

نظرت إيديا إلي سقف السيارة ، بينما كانت تداعب بأناملها خــرزة زرقاء ، كانت معلقة ، فقالت وهى تقرأ التمائم المكتوبة عليها :

ــ من أين لك بها ؟..لم أراها من قبل .

ــ أوه .. إنها ثمينة جداً .. لست أدرى من أين ؟.. ربما اشـــترتها أمى من العراف الذى زرناه ليلة الأمس ، فقد اعتـــادت زيارتـــه منــذ صغرى .

كانت السيارة تتهادى فى شـــوارع المدينـــة ، و نحـــن نتجـــاذب أطراف الحديث بشوق بالغ ، حتى وصلنا إلى بركان هيرانتس ، الـــذى تقبع فيه قاعدتنا الفضائية ، ولما وصلنا بوابتها الرئيسية المنحوتة فـــى جدار البركان ، أصدر العقل الألكترونى للسيارة بكلمة الســـر المتفـــق عليها ، والتى تتبدل يومياً ، ففتحت ودخلنـــا إلـــى الموقـــف الخـــاص بالسيارة ، وتركناها ، ثم سرنا خلال ممر صغير وضيق مـــؤدى إلـــى

المصعد ، و وقع أقدامنا يسبقنا بصوته المضخـــم ، الممـــزوج بـــأزير ماكينات إمتصاص الطاقة من البركان ، المبطن بـــالفولاذ الصلـــب ، وخراطيم الضغط العالى تنفث ببخار المـــاء المكثف من هنا و هنـــاك أسفل الممر ، ثم صعدنا للطابق الثالث حيث الاجتمـــاع ، فتـــح بـــاب القاعة ذاتياً ، و إذا برئيس القاعدة يأخد مكان الصـــدارة إلـــى طاولـــة الاجتماعات ، و من حوله يجلس هيـــبرون و هيـــلارز و آفـــرون و إيفانيوس ، علمت فيما بعد ، أنهم أعضاء الفريق الذى سيرافقنا الرحلـــة ثم فاجئنا الرئيس بقوله :

ــ ستة وعشرون ثانية تأخير .. كنت على وشـــك إلغـــاء قـــرار التكليف الخاص بكما .

فقلت و كأننى أجهل سبب الاجتماع ، أو ربما أجهله بالفعل :

ــ حديثى أنا و إيديا هو السبب ، لقد كان له مذاق خاص .. ممـــا جعلنى أبطىء سرعتى .

فسأل و هو يستنبط نوايانا :

ــ عم ينم الحديث ؟ .

فجاوبت بلجلجة:

ــ أحلام يقظة راودتنا ، و كأننا سنعبر الكون إلى الثقب الأسود .

ــ هو كذلك فعلا .. لقد تم اختياركما ، ومعكما هذه المجموعـــة .. تفضلا أولا بالجلوس .

غمرتنى سعادة لا أستطيع وصفها ، جعلتنى لا أنـــاقش مخـاطر الرحلة أو ميعادها ، الأمر الذى جدد ثقة الرئيس ، فقال مستأنفا :

ـــ هذا هو الاستعداد المطلوب منكما للرحلة .. إنها إلـــى كوكـب جيتانو ، ثم للثقب الأسود بالسوبر نوفا ، ثم إلى جيتانو مرة أخـــرى ، وأنتم تحملون مضاد الجرافيتون اللازم لعلاج جيان ، والأمـــر يحتـاج إلى سرعة الأنجاز و السرية .

فقلت وأنا أتنفس الصعداء :

ـــ يا لها من رحلة عجيبة .

فقال محذرا :

ـــ تمهل حتى تعرف المخاطر .

ـــ مهما كانت مخاطرها .. فأنا تواق لها .

ثم أستطرد الرئيس حديثه ، مبينا أهمية الرحلـــة ، و مخاطرهـا الصعبة ، خاصة الطرف النائى من مجرة التبانة ، بعـد ذلـك انتـهى الاجتماع ، وقد تحدد فيه موعد الإقلاع .. إنه مع بزوغ فجر الغد .

سلكنا الدهاليز المؤدية إلى المركبة الســاكنة فـى متسـع كبـير بالطابق الخامس و الأخير ، يعلوها سقف متحرك ذاتيـا ، و بصـوت ناعم رقيق ، سألت ايديا :

ـــ تعتقد .. كم من الوقت يلزم لهذه الرحلة ؟ .

ـــ ربما عام أو عامين ، أو على الأكثر عشرة كاملة .. هذا يتوقف على سرعتنا ، و طريقة الحصول على مضاد الجرافيتون .

وبمسحة خوف غطت نبراتها ، قالت :

ـــ أخشى على الأرض من الزلازل فى هذه الفترة ..

ـــ عاجلا أو آجلا ستحدث .. و سيتغير وجه الأرض .. هذا قـــدر لا محالة ..

كانت إيديا تنظر بعمق نحو المركبة ، ثم قالت :

ـــ بالرغم من حماسي الزائد للرحلة ، لكني أكرة السجن داخلها .

ـــ طالما نحن معا ، فلن تكون سجنا .. ولما تكتشفي كل مجـــهول ينتظرنا ، سيتبدد خوفك.

عدنا إلي مواقعنا بالقاعدة نجـــري بعــض الحســابات ، ونقلــب عشرات الخرائط ، نستجمع بياناتها ، ثم نصبها في قوالــب ذات نمــط رياضي ، وبعد ذلك نغدي بها العقول الالكترونية بالمركبة .

كان العمل مضنيا ، ومن شدة إنخراطي في هذة الحسابات ، إنعــدم تفكيري وإحساسي بكل شئ حولي ، محتســيا الأقــداح العديــدة مــن عصائر الأعشاب المختلفة ، وإذا بإيديا تفيقني وهي تتصنت لشئ ما :

ـــ أتشعر بهذه الهزة الخفيفة .

وبدأت أشعر بها فعلا ، ولكنها أمر طبيعي فقد اعتدنا ذلك ، منـــذ رحلتي لدراسة مصادرها ، وفي مثل هذه الأحوال ، تخرج الطوافـــات لتخمد أي نشاط بركاني يظهر ، فلولا التحصينات والصيانة الدائمـــة ، لانفجر هيرانتس منذ زمن بعيد .

إصطحبت إيديا للمنزل بعد أن فرغنا مـــن العمــل ، والغــروب الساحر يكسو وجة الأرض ، بينما الشمس تختفي خلف هيرانتس .

نزلت إيديا أمام منزلها ، و صعدت درجه اللجى ، ملوحة بيدهـــا الرقيقة ، غامزة بطرف عينها اليمنى ، وأنا أتـــهادى بالســيارة نحــو منزلى الكائن بالمجمع السكنى ، التابع للقاعدة ، فنزلت مهرولا بســعادة جمة ، نحو الباب عبر الممر المحاط بالحديقة التى يربى فيـــها أبــى ، بعضا من طائر الطاووس ، و العصافير النادرة ذات الألوان البديعــة ، فتراه يحافظ على تغذيتها ، وتنظيف أوكارها كل يــوم ، فــى أوقــات فراغه ، فصحت له مبتسما :

ــ دعك من طيورك .. أنا جائع.. عندى لك خبر هام .

ــ أعلم ما عندك .. أنا قادم .

كانت أمى تتابع قدومى ، وهى تنظر بشغف مــن خلــف النــافذة القاطبة للضوء ، وعلى الفور ذهبت لتفتح الباب ، ثم لثمتنى فى جبينــى وقالت بصوت ممزوج بالسعادة والخوف ، حيث كانا على علم بالرحلــة حينما إتصلت بهم القاعدة :

ــ يا له من عراف .. أرجو ألا يطول فراقك يا آدوم .

ــ إنها فرصة العمر يا أمى .

ــ أنا أعلم طموحك يا ولدى .. ألم تتناول الطعام بعد ؟ .

ــ الآن فقط أشعر بالجوع .. سأفتقد مذاق الطعام .

جلس ثلاثتنا حول المائدة ، و لمحت أمى شــــرودى ، و تلاحــق انفاسى ، فقالت منبهه:

ــ لقد أعددت لك جراب الحاجيـــات ، و مديـــدا مـــن كبســـولات الأعشاب التى تفضلها ..

ثم استطردت بعطف الأم :

ــ يجب أن تأخذ قسطا من النوم .. فأمامك المزيد من الجهد .

ولما فرغنا من الطعام ، أخذت قدح الأعشاب الساخن إلى غرفـــة نومى ، بينما الليل قد شمل كافة الأنحاء ، فألقيت بجسدى على الفــواش وأنا أحملق فى سماء الغرفة ، وما هى إلا لحظات حتى أخترقتها إلـــى سماء الكون ، سابحا فى أحلامى .

مضى الوقت سريعا ، و أنا بين اليقظة والنوم ، ثم أفقـــت علـــى صوت إيديا بغرفتى موقظة :

ــ يا لك من كسول .. لقد تأخرنا .

ثم أخذت أفرك فى عينى بلهفه وقلق .. وغسلت وجهى بسرعة ، دون أن أجففه ، لتتساقط بعض قطرات الماء على ملابسى ، ثم قبلـــت أمى وأحتضنت أبى مودعا ، وأنتشلت الجراب قفزا ، ومن خلفى إيديـــا إلى السيارة ، ليقودها الأب إلى القاعدة الفضائية .

وصلنا إلى البوابة الرئيسية (باب ستة) ، واطلقت بكلمـــة الســـر المشفرة ، فلم تفتح ، بينما ترد بصفير متقطع .. غريبـــة .. وكعادتـــها إيديا وحسن تصرفها ، إتصلت برئيس القاعده ، وأنا أكرر المحاولـــة ، وتنفست الصعداء حينما علمت أن هذه البوابة أصابها خلل من الـــهزات

المتكررة بالأمس ، وأن موعد الإقلاع تأخر أربعون دقيقة أخري ، ثـم وصلنا إلي الطابق الخامس ، وقد سبقنا إليه هيبرون وهولارز ، بينمـا آفرون وايفانيوس من خلفنا ، يحملان بعض الأجهزة البديلة ، اللازمـة للأعطاب ، وجميع العاملين قد اصطفـوا بجـانبي الدهلـيز المـؤدي للمركبة مودعين وليس بينهم أبي .

إصطففنا ونحن متشابكي الأيدي ، ومن خلفنا المركبـة ، لأخـذ الصور الفوتوغرافية التذكارية ، ويصافحنا الرئيس ، والقاعدة بأكملـها ترتفع نحو مائة متر فوق سطح البركان للإصلاح والـترميم لبعـض التشققات التي أصابت أجزاء من الجدران .

صعدنا المركبة ، وبدأ بزوغ الشمس يعلن يوما جديدا ، مع بدايـة العد التنازلي ، وحينما وصلت لحظة الإنطلاق ، كنا قد غادرنا المجـال الجذبي للأرض ، لتتضائل شمسنا المعطائة وتصبـح نقطـة مضيئـة سابحة في ليل المجرة الدجي.

كانت القاعدة علي اتصال بنا بواسطة الشعاع الليزري المتقطـع ، عالي التقنية ، يمد العقول الالكترونية بالبيانات والرسائل ، أما صـوت رئيس القاعدة فقد أدهشني عدم سماعه .

وبعد أن قطعنا خمسة آلاف من السنين الضوئية ، عـاد رئيـس القاعدة يهمس بحزن .. قائلا بصوت متحشرج جريح :

ــ لا تشغلوا بالا .. نحن بخير ، وأسركم ، لقـد ضـرب الأرض زلزال عنيف ، قسم اليابسة إلي أربعة أجزاء ، وأحدث تشققات بالغـة غمرت تماما بالماء ، أما هيرانتس فقد إندثر ولم يعـد لـه وجـود ، استمروا ولا تتراجعوا ، مشاكلنا نحلها بهدوء وحكمة .

ثم قطع الاتصال ، ففجعنا جميعا ، ولكني تماسكت لأهـــدئ مـــن انفعال ايديا ، وهي تمسك بمقود التسارع قائلا :

ــ علي رسلك .. سنتحرك بهذه السرعة الكبيرة ، طالما لم نؤهـــل لها .. ماذا كنا سنفعل لو كنا علي الأرض ؟ .. هذا هو قدرها .

وبخوف شديد قالت :

ــ هل تعتقد أن أسرنا داخل القاعدة الآن ؟

ــ مؤكد .. وإلا لما طمأننا الرئيس .. حـــاولي أن تتقفـــي شـــعاع الليزر .. لقد اقتربنا من المجال الجذبي للنجم ساروس .

هدأت ايديا ، لتصبح الامور طبيعية نسبيا ، ثم سأل هيبرون :

ــ هل من السهل الهبوط علي جيتانو ؟

فقالت ايديا بثقة :

ــ نعم .. بكل دقة .. فالمستشفي تقع بالسطح دائم الظلمـــة ، فـــي القطاع السابع الشمالي .

ثم بادرتها قائلا :

ــ إنه أقرب أن يكون مذنبا لا أن يكون كوكبا .

وقال هولارز محذرا :

ــ كوني حذرة يا إيديا عند الهبوط ، فهو مغمـــور بكاملـــه داخـــل فقاعة مغناطيسية أكبر من حجمه ، ممكن أن تسبب لنا إنحرافـــا عـــن الهدف .

ثم قالت إيديا موضحة :

ــ سنأخد مدارا أعلي السطح المغناطيســي ، وسنحسب مقدار الانحراف الكلي ، لإنكسار شعاع الإتصال الساقط علي الكوكب ، ثــم بعد ذلك نحدد مكان الهبوط .

لما اخترقنا هذا السطح ونحن بســرعة كبيرة ، أخذ المجال المغناطيسي يلفنا حلزونيا ، بمدارات متناقصة البعد عــن الكوكب ، وبصعوبة بالغة حطت المركبة بالقرب مــن المستشفي ، وبواسطة المجسات ، عرفنا أن السطح مفرط في الصلابة والأجزاء الناتئة منه حاده جدا .

استرخينا أنا وإيديا داخل المركبة بعد أن هبط الجميع منها ، وأنا أجول ببصري من خلال النوافد ، أستطلع شيئا ما داخل هــذا الظلام الدامس ، وبنبرة متشائمة ، سألتني إيديا :

ــ هل جلبت الخرزة الزرقاء معك ؟

فقلت كمن تذكر شيئا هاما :

ــ إنها بالسيارة .. أتتشائمين ؟

ــ كلا .. إنها تذكرني بالوطن .

ثم وقفت أشحذ بنظري هذا الشئ البعيد ، والضوء الخافت ينبعث منه ، ومن حوله النبات ، ثم صحت بصوت عالي مرددا:

ــ إنها المستشفي .... إنها المستشفي .

المستشفى العجيبة

يتسلل الليل أرجاء النصف الغربي من كوكب جيتانو المـــهجور ، بينما النسيم العليل ينساب خلال أشجاره ونبته المتيقظ لـــتزداد جبالــه حلكه داكنة من ظلامه الساحر ، كما تهبط أشعة قمره فوجوس بـــترانيم فضية تكسو ساحاته الفسيحة الصلدة ذات النتوءات البركانية الخـــامدة والمختلفة في ارتفاعات عشوائية ،تعزف تراتيل الســكون الموحــش ، وإذا تتبعت سماءه لراعك تباعد حلة الأشعة القرمزية النحاسية المشـوبة بالزرقة ، وهى تترامى وتتوارى خلف الأفق البعيد إلـــى اللانهايـــة ، بينما يحتل سواد الدجى العاتى صفحة السماء العريضة لتفترشها عرينـا فيبدو بريق نجومها المتلألئة من خلاله كالثريا اللؤلؤية بديعة التكوين.

وفى هذا الحفل الصاخب بحفيـــف الأوراق ، ومداعبـــة الريـــاح المتمردة ، تقبع مستشفى صغيرة كالدرة ، وسط حديقة كبيرة رعنـــاء ، ذات نبات كثيف وغريب ، يكسو بدائنها بلطف ، فــلا ينفـذ منـــها إلا ضوء خافت ، يسرى على حواف بعض الأوراق ، بينما يذوب البـــاقى فى الظلمة ، ويعبق النبت بعطر يخلب الوجد ويسلب الرشـــد ، فتـــهيم شاردا فى حلم داهم ، كما تغلب عشوائيته المجنونة على نسقة فتتشــابك أطرافة وأغصانة بائتلاف عصبى ، حتـــى لا يســـتطع المـــرء تبـــاين المداخل الرئيسة للمستشفى ، فهو يحتضنها كحارس أمين عليـــها مـــن الغرباء والأعداء ، ولة شفرة خاصة ، فتراه متراقصا أو ساكنا ، ينفـث بالحب للزائر الذى يحملها ، أما غير ذلك فيهولك طلعة ليبـــدو كأنــه وحش كاسر ، يلتف بأغصانه حول فريستة ثم يفرز عليها بعضا مـــن عصاراته الخلوية فتتحلل ثم يتغذى عليها ، تاركـــا الأجـــزاء الصلبـــة كالعظام والجماجم ملقاة بين سيقانه وأعشابه .

أما عن كوكب جيتانو فهو آخر كواكب النجم ســـاروس حاليـا ، حيث أنة من الكواكب الحرة الحركة ، حينما يكون الجذب عليها مـــن أى نجم يتبعه ، ضعيفا ، مما جعله يغير فلكة من حين لآخر ، حســب النجم الذى يجتذبة ، فتراه يتحرك حركة عشوائية ، ولكننـــا رصدنــاه وأصبح من السهل التوصل إليه وقت نشاء ، كما لا توجد عليه حيــاة ، لعدم توافر إمكاناتها ، وربما كان ذلك هو السبب فى إختياره لبناء هــذه المستشفى العجيبة عليه .

المستشفى من نوع وطراز نادر بتقنياتها العالية ، وتخصصت فــى علاج الأمراض النادرة ، كما أن نزلائها من الحالات التى تتسم برفعــة المستوى على المدى الكونى.

وأطباؤها وممرضيها غير مرئيين ، إنهم من عقـــول الكترونيـــة شديدة التعقيد والذكاء ، كما أنها على إتصال بالمركز الرئيسى بكوكــب أجهل عنوانه وطبيعته .

أما أبوابها فلا تفتح إلا بواسطة هذه الشفرة فى تناسق وتفاهم بينــها وبين النبات ... وقد زودت بها مركبتنا قبــل الإقــلاع مــن محطتنــا الفضائية الأرضية ، ولذلك عندما إقتربنا من الكوكب وجدنا كل شـــئ ميسر لإستقبالنا .

عندما يزلف المرء الى المستشفى فإنها تستطلع نشاط كل أجهزتــه الجسدية وكل خلية من خلاياه وتكتب عنها تقريرا مفصلا يفصح عـــن كفاءتها وأماكن ونوعية الضعف فيها وســـبل علاجـــها إلا الحـــالات الحرجة جدا ، فإنها تستقطب داخل غرف معقمة ذات عناية فائقة ثـــم تلف فى شبكة من الوصلات الإلكترونية ، بينما تسقط الحزم الإشعاعية المختلفة عليها من كل إتجاه بعد وضعها داخل بللورة هرمية .

مريضنا بهذة المستشفى ، على درجة كبيرة من الأهمية والتقديـــر فهو الدكتور جيان ، عالم كونيات متخصص وفريد ، تعددت بحوثه فى مجال الثقوب الكونيـــة الســوداء ، ومـــا وراء الكونيــات ، كعلـــوم الميتافيزيقا.

أصيب أخيرا بمرض غامض ، راح على إثره فى غيبوبة تامــة ، وتعطلت معه بحوثه ، ولم يتمكن مساعدوه من استكمالها ، ولما تعـــذر علاجه بالمركز الطبى بالقاعدة الفضائية تم نقله الى هذه المستشفى .

حتى وهو فى حالته تلك وحينما كان على كوكب الأرض تعــوض لعملية اختطاف مسلحة من قبل عصابة مجهولة الهوية ، وأغلب ظنـــى انها ليست من كوكبنا ، إنما هى من كوكب ثائر، أوشك على الانفجـار وكان له فلك حول النجم جورسيا ، بمجرة الشعرى اليمانية ، فتصـــدى لهذه العصابة رجال من القاعدة الفضائية بحزم ، ولكننا فقدنا على إثـــر هذا الصدام عضوين مهمين بالجهاز الأمنى للقاعدة .

كما تم أسر رأسهم المدبر لعمليـــة الأختطـــاف ، ومـــن خـــلال استجوابه علمت القاعدة بحال كوكبهم ، وأن جميـــع ســكانه مـــهددين بالدمار ، فوعدناهم بالمساعدة حالما تنجح رحلة علاج جيان ، كـــانت هذه المعلومات مخزنة بالعقول الالكترونية التابعة للمركبة .

لم أعاصر هذا الصدام فقد كنت ومن معى وبعضا من العلماء فـــى مختلف المجالات الفزيائية والجيلوجية والكيميائية نقتفى أثـــر موجـــات زلزالية عنيفة وبالغة الشدة فى قشرة القارة ، تتسرب إليها من جوفـــها ، فأحدثت بها تشققات بالغة يصل طول الواحد منها إلـــــى آلاف الكيلـــو مترات ، كما أنها انتشرت فى أماكن متفرقة من اليابسة ، ممـــا حـــدا بقطاعات كبيرة أن توشك على الإنهيار والانفصال والغمر بالمـــاء ثـــم

باتت كبوسا يهدد أمن السكان فجعل بعض أثريائها يـــهجرون الأرض إلى أماكن أخرى بالمجرة أو إلى مجرات أخرى تكون عامرة بالحياة .

نزلت أنا وإيديا ، ومعى الجهاز الذى يحمل الشفرة ، وأخذ كل منـا يطالع حوله ويتعجب لهذا الجو الساحر العجيب ، وبينمـــا كنـــا نتقـدم بخطى حثيثة ، تعثرت قدما إيديا بنتوء صغير ، وكادت أن تقـــع لـــو لا أنها استندت بيدها على ظهرى ، فقلت لها محذرا :

ـــ إحذرى يا إيديا .. النتوءات الصغيره هنا حاده كالسكين .

ـــ سرحت عيناى فلم ألاحظها .. إنها من الزجاج الفضى .

وبعفوية التفت نحو إيفانيوس ، فرأيت وجهه وقد تلبد من الخـــوف عندما اقتربنا من باب المستشفى فروعه منظر لهيكل عظمـــــى كـــامل وبعض الجماجم وكسر العظام من حوله ، وسرعان ما تبدد هذا بسـماء جيتانو ونبته الساحر .

كنا نخطو نحو باب المستشفى والرهبة تسيطر علينـــا ، وآفـــرون يتقدمنا ليصنع لنا طريقا يسهل علينا اجتيازه بعد كسر أعـــواد النبـــات الشائكة وغير الشائكة بأوراقها الاسفنجية العريضة ، محدثـــة صـــوت عويل ، يبدأ قويا ثم يتلاشى ، فهى وديعة ولا يمكنها إيذاءنـــا ، وبعــد عناء ، وصلنا إلى الجدار المشع يتوسطه دوامة وأتربة أشبه بالموجـــة المائية التى تنتج عندما القاء قطعة من الصخر على سطح الماء .

كنت أتوسط الفريق ، وأمامى آفرون ، فتقدمت قليلا عن الفريـــق واستخرجت جهازا صغيرا كان مثبتا بجانبى الأيمن ، يعمل كـــالريموت كنترول ، وسلطت منه أشعة خاصة بالشفرة نحو ذلك الجدار وإذا بنـــا نتبخر وقد زالت عنا الحالة المادية ، لنخترق الجدار بسهولة عبر نفـــق

إعصارى التكوين ليلقى بنا على سطح أملس اسفنجى وكأن شـــيئا لــم يكن ثم نهضنا وبدأنا رحلة المسير .

إذا زغت ببصرك داخل الردهات المتشعبة كالسراديب بالمستشـفى الذى اخترقنا جداره ، حيث كان منيعا ويستحيل إختراقـــه قبـل فـك الشفرة ، أدهشك نظام الأمن الالكترونى ذو الذكاء الصناعى الفـــائق ، فهى تفتح وتغلق ليس كأبواب أرضية ، وإنما إختراق موجي رقـــراق كالنسيم الروحى عندما تتفصد ذرات مادة جدرانه وتتسلل أنـــت فيــها كالسراب ، ولذلك كنا نخترق الجدار تلو الجدار ولا نشـــعر بتثـــاقل أو إعاقه ... تماما كما لو كنت أحد الأشخاص فى حكايات ألـــف ليلـــة وليلة أو معك مصباح علاء الدين السحرى .

والإضاءة هنا شئ بديع فهي تنبعث بطول الردهات ذاتيا من مـــادة الجدران ، بتشعع لطيف ليس له ظلال ، وتنبعث حتي مـــن أى جســم غريب إذا ما وجد بداخلها ، ولذلك كنا نسير وأضواؤنا تسابقنا ، فذلـــك هى أفضل وسيلة للتعقيم وقتل الميكروبـــات والفيروســـات التـــى كنـــا نحملها ونحن قادمون من كوكب الارض .

ومن العجيب إن آلات الزمن التي نحملها قد توقفت تماما ولم نعـد نشعر بالوقت فهو نسبي يطول أو يقصر من خــــلال إحساســك بــه ، فالوقت هو استمرار الحديث أو إنتهائه أو إبداله بآخر ، بينمـــا ونحـــن بالداخل وبحالة متشعة نرى كل الأحداث مجتمعـــة ، الســـابقة منـــها واللاحقة ، حيث انعدم الزمن بتشععنا أثناء الاختراق .

كنا ونحن فى الداخل ، نخترق جدران معينة ومحددة ، لـــم نكـــن بالغيها ، لولا الشفرة ، تؤدى بنا إلى سراديبه ، علي جانبيـــها غـــرف محكمة ، لم ندر ماذا بها مرضي يتلقون عنايـــة مركـــزة أو تجـــرى

بعضها عمليات جراحية ، أو لحفظ بعض الجثث حتى يستفاد منها في الدراسة ، كقطع غيار بديلة ، فهم يستفيدون بكل شئ .

ونحن بالداخل ، وكنا نتحرك حركه ميكانيكية مبرمجة ، لأننا تحت سيطرة وتوجيه هذه الأجهزة ، فلديها مقدرة غريبة على التحكم في حالة الوعى التى لدينا ، لدرجة أن الفرد منا كان لايستطيع التحدث مع الآخر ، أو يفكر في ذلك كما يظل علي آخر حالة ذهنية قبل الإختراق ، خوفا من أى متسلل له نوايا دنيئة ، ويعمل علي تغيير شفرة التحكم أو سلوك عمل المستشفى ، وتساءلت هل من الممكن أن تكون هناك مخلوقات بذكاء أفضل من هذا ؟ .

ودعاني حب استطلاعي قبل الإختراق ، أن أعرف من هم أصحاب هذه المستشفى ، فأخذت أطالع جدرانها جيدا لعلي أهتدى لشئ ولكنه مجهودا ضائعا ، وعاشت معى الفكرة إلى ما بعد التشعع ، حتي اخترقنا الجدران وأنا أبحث عن ذلك الهدف دون جدوى .

بمقدور كل منا ونحن فى داخلها ، أن يخترق حاجز وجوده بفكر جديد ، ويعيش أزمانا سحيقة القدم أو لاحقة ، أو بتعبير أدق ينفذ لأحلام ليست له الملكة فى صنعها ، حيث لا زمن ولا قيود ... ومن فرط إضطرابنا الفكري الذى لم نألفه كدنا أن نتناسى المهمة المكلفين بها وهذه الزيارة حيث انخرطنا تماما فى اللاوعى بسموه العقلانى ، أو نسيناها فعلا ولكن التحكم الالكترونى هو الذى يوجهنا ، ثم انتهى بنا المطاف إلى وحدة تحكم فى مكان ما بخليه الكترونية مكثنا بها بعضا من الوقت ولم أدر هل تم تصغيرنا لندخلها ؟ أم نحن مازلنا باحجامنا الطبيعية ؟ وإن كنا مصغرين ؟ فإلى أى حجم نحن فيه ؟!.. لست أدرى ؟ .

مستشفى غريب بأجهزة عجيبة فعلا ، فلما توقفنا فى هذه الخليـــة للحظة ، تم استجوابنا بواسطتها ، وطعنا الأوامر والإرشادات ، ونحــن أيضا فى اللاوعي ولم أعرف بماذا سئلنا أو بماذا أجبنـــا ؟ فالتعــامل معها لايشوبه أى تحريف ، الحقيقة والحقيقة فقط هى اللغة المتبادلـــة ، ومن ثم نقلنا تلقائيا إلى بهو فسيح على شكل قبو داخـــل غرفــة مــن الغرف المحكمة المتراصة على اليمين وعلى اليســار مــن الســرداب الرئيسي ، حيث يرقد جثمان عالمنا الجليل ، وهـــو يعــاني ســكرات الموت .

القبو داخل الغرفة علي شكل نصف كرة ، كبير ولا يتناسب مــع حجم السرداب وهو شفاف كأنه زجاجي ، أو مرمر لكي يكشف عــن داخله دون عناء أو قد يكون إشعاعا لايســمح بالنفــاذ ، المــهم أننـا لانستطيع إختراقه ، لكنى اتمكن من رؤية ووصف ما بداخلــه ، فــهو هرم من الأشعة البنفسجية قاعدته مربعة وتقع تقاطعاتها على دائرة قاع البهو بينما رأس الهرم ، تمس أعلى السطح الداخلي له ، وترقد جثــه العالم ــ فى الثلث الأول من ارتفاع هذا الهرم ــ جاسئه علــي لحـد بللورى يشع ضوءا لطيفا ضارب بين الخضرة والزرقة شديدة الإشعاع المستمر والمركز ، ليحفظ حيوية خلايا جسده من التحلل والانــهيار أو تتحول إلى خلايا من نوع آخر شرس ، فالشــكل الــهرمى لــه مــن الأسرار والعجائب جعلت الأقدمون يخلدونه فى أساطيرهم ، ولا أعلــم إن كان هؤلاء الأقدمون قد عرفوا فائدة البناء الهرمي من أصحاب هذه المستشفي أم لا ؟ .

وبينما أنا فى تتابع المشاهدة واختلاس النظرات هنا وهنـــاك ، لا أدر إن كنا فى حالة معنوية أم مادية ؟ كل ما أعلمه أنى اعتكفت جانبـا وإلى جواري إيديا التى لم تفارقني قط لأسجل ما أشـــاهده فــى هــذه

الأثناء ، لم أجد الطبيب الخاص بالبعثة بيننا ، وهو الدكتور هيـــبرون والمكلف بدراسة التقارير الخاصة بالمريض حيث سمح لـــه بـــإختراق القبو الزجاجى .

الشخص المسموح له بالاختراق يوحي إليه من خـــلال الأجـــهزة التى نحن تحت سيطرتها ، لنراه يتصرف وكأنه يختطف ، فـــى هـــذه الآونة لفت انتباهى البللورة التى يستند العالم بجسده عليها وهي تومض وميضا متقطعا ، فأدركنا أن جيان ربما يكون فى احتياج لمزيـــد مـــن الرعاية الطبية كزيادة النبض الذى انخفض عدده وتناقصت معه درجـه الحرارة ، لذلك فإن هيبرون اختطف إلى هنـــاك فـــي خلســـة مريبـــة لمراجعة النبض ودرجة الحرارة وبعض الأمور الطبية المختلفة ، فدب بى القلق وساورتني الوساوس والعديد من الأفكـــار المقبولـــة وغـــير المقبولة خوفا على أى عضو منا ، لأننا تحت تصرف وســـيطرة هـــذه العقول ولا ندري ماذا ستفعل بنا بعد .

إن الأجهزه والتقنية لا تحافظ على الحياة بشكل كامل ، وإلا لمـــا كان هناك موت ، وإنما تقى فقط الأمور المسببة للحياة من الإجـــهاد أو التلف دون تدخل فى طول العمر .

بعد برهة ، ظهر هيبرون بيننا معبـــأ بـــأكداس مـــن المعلومـــات والتقارير بعد أن ساهم فى معالجة كافة الأمور الطبية اللازمة لجيـــان ، وأعلن أن الزيارة قد انتهت ، وسيبث في رأس كل منا المهام المنوطـــة به عندما نخرج من نفس وحدة التحكم تلك .....

وبدأت رحلة الخروج ، ولم تتغير عن النمط الذى دخلنا به كثـــيرا بيد أنه قد تم شحننا بالمعلومات الضرورية أثناء الخروج ، من الخليـــة الإلكترونية ، ثم خرجنا من الجدار الذى سبق وأن اخترقناه ، وجـــذب

انتباهى الحالة البخارية التى كنا عليها وهى تتكثف مرة أخرى وتتجسد ويعود لنا الوعي تدريجيا ونحن نلفظ ثم نتساقط على أعـــواد النبــات خارج المستشفى .. لم تعجبنى الطريقة وسألت هل حدث لجيان مثـــل ذلك ؟ يالها من طريقه غير حضارية ، ثم عادت آلات الزمن تعمل من جديد ، ومن نفس الوقت الذى كنا عليه قبل الاختراق ، وكأنه لم يمـــر أو يتحرك لكن الشئ المختلف هو كم المعلومات التى اثقلت عقولنـــا ، لذلك قررنا عقد اجتماعا بالمركبة نحدد فيه خطة العمل المقبلــة كـل حسب تخصصه ، والمعلومات التى لديه .

صعدنا المركبة ، وجلسنا للاجتماع فبدأ هيبرون الحديث بقوله :

ــ إن الدكتور جيان قد تعرض أثناء إجراء أبحاثه ، لجســم دقيــق ليست له كتله مثل حبيبات الضوء أو أقل بكثير ، إخترق مركز تجمــع الخبرات فى المخ فى المنطقة السفلي خلف الرأس ، ولما كان الجســيم له طاقة جذب شديدة فالمرجح أن يكون جرافيتون نشط ، حيث جــذب إليه جميع خلايا المخ المحيطة به إلــى داخلــه وكأنــها تلاشــت ، أو تقلصت إلى كون آخر لا تعلم الأجهزة ولا نعلمه نحن أيضا فالأجســام الدقيقة تجذب إلى حيث لا نعرف ، ففقد الدكتور جيان توازنه ووعيــه وسقط مغشيا عليه وتاه فى غيبوبة أبدية . وتوالت الإتصالات الكونيــة من محطتنا الفضائية بكوكب من الكواكب المتحضرة بمجــرة الســوبر نوفا ، وأرجح أن يكون أهله هم أصحاب هذه المستشفى ، كما أجــرت إتصالات مماثله مع تلك العصابة المجهولة التى كانت تنوى اختطـــاف جيان كما تعلمون ، ولكن رشح أهل جيان محطتنا الفضائية بالعناية بــه ونقله للمستشفى بجيتانو ، والمهمة التى نحن الان بصددهـــا الآن هـــى جلب مضاد الجرافيتون الذى له طاقة جذب منعكسه ترد خلايـــا المـــخ

المختفية إلى حيث كانت بعد زرعه فى مركز الفجوة وبذلـــك يســترد وعيه ويستكمل أبحاثه .

ينحدر هيبرون الذى تجاوز الخمس والأربعين ســنة مــن قبــائل كانت تعمل فى رعى حيوان الرنة وتجارة جلوده وموطنـــها الأصلــى جنوب المحيط المائى الشمالى المتجمدة ، أى جهة الشرق من موطننـــا ولذلك فإن فتحات أنفه تكاد تكون مغلقة .

كان حديث هيبرون يتسم بالبرود ... وجمود الأحاسيس شأنه شأن جميع الأطباء ، ولكنه كان مركزا ومنصب على هدف ثابت ، وكأنـــه لايزال تحت وصاية وتأثير أجهزة المستشفى ، بينما تابعه هــولارز ذو الشعر الناعم ، وهو عالم فى الجسيمات الدقيقة مــن علمــاء الطــرف الشرقى من اليابسة الذين نزحوا إلينا إبان التصادم النيزكى هناك الــذى دمر قطاعات كبيرة منها وخرب ديارا وقتل وشرد الكثــير ، وهــو لا يقل عن هيبرون فى الجمود ، لكنه قليل الكلام ، وبصوت هادىء كمـن يلقى محاضرة علمية فتحدث قائلا :

ــ إن مضاد الجرافيتون ، يمكن الحصول عليه من أى نجــم فــى حجم شمسنا عندما يتعرض للفناء بأستهلاك وقــوده ... وتفتــت ذرات مادته ، بعوامل الجذب الشديدة نحو مركزه ، فيتحول إلي كتلة هائلــــة فضية تشع بالنيوترونات عالية الطاقة في شتي أنحاء المجرة .

ثم أردفت موضحا :

ــ هذا النجم النيتروني موجود فعلا في مركز سديم يدعي بالســوبر نوفا ، وهو علي بعد كبير جدا من هذا الكوكب ويجب أن نعبر ثـــلاث مجرات حتي نصل إليه ، ومخاطر النجوم النيترونية قاتلــــه لأن مـــن يجذب إليه لا يمكنه الإفلات أبـــدا ، وســـيظل مبعــثرا علـــي شــكل

نيوترونات للأبد ، ولا أستطيع تقدير كم الطاقة داخلة ، ولكن الجرافيتونات المضادة الموجودة داخل أي ثقب أسود قد تفي بالغرض وبمخاطر أقل ضررا ، وهذه الثقوب موجودة في هذا السديم وتنتج من نجوم أكبر من شمسنا مرة ونصف علي الأقل ، فعندما يفني وقودها ترتفع طاقة الجذب في مراكزها ويصاحب ذلك ارتفاع في درجات الحرارة إلي آلاف الملايين من الدرجات ثم تتقلص إلي مثل حبة الرمل وتصبح سوداء قاتمة كما أن الأجسام المنجذبة إلي داخله ربما تتقلص هي الأخري أو تذهب إلي اكوان مضاده لا نعلمها وإذا كانت الأجسام المنجذبة مخلوقات حية ، فإنها تظل علي حياتها المتقلصة أو تنسحب إلى أكوان أخرى نقيضة ، يمكن أن تفنى أو لا تفنى بالجذب ، لذا فإن مخاطر الثقب هى الأقل .

وقد أيد كلامى هولارز .... ثم تابعت حديثى وقد أحسست أن القوة الخفية المسيطرة على بدأت تتلاشى ، ثم بفكرى الخالص قلت :

ـ هذه الثقوب تجذب إلى مركزها الضوء فلا يستطيع الإفلات من جاذبيتها ولذلك تبدو قائمة إلا النيترونات ومضاد الجرافيتونات فهما الوحيدين اللذين يستطيعا الإفلات ، ثم إن معلوماتنا عن هذه الثقوب لم تستكمل بعد ، وكل ما أخشاه أن يكون حجم الوقود غير كاف لهذه الرحلة ذهابا وعودة لأمنا الأرض ، ثم إذا وصلنا للثقب لا ندرى يارفاق إلى أى مكان سيأخذنا جذبه ، هل سنتقلص على أحد جسيماته ؟ أم تراه يسحبنا إلى أكوان أخرى نقيضة ؟ ولا ننسى أن مهمتنا محددة ويجب أن تتم علي وجه السرعة ... عموما الرحلة غير مضمونة وغير مأمونة الجانب ... كان يجب أن تتبعنا مركبة أخرى .

أحسست بعد حديثى إنى أجبن فرواد الفضاء يجب أن يكونوا على مستوى عملهم ومكانتهم ، ولا يجب أن يجبنوا أو يتسلل الخوف إليهم ،

فالرحلة فى بدايتها والمخاطر تزداد بزيادة الخطى فيها والخطـأ غـير مسموح به مطلقا حتي لو كان من حديث ....

لم يغفر الفريق هذا التجابن ، حيث اتضح ذلـك مـن نظراتـهم المزدرية والمصوبة نحوى ، فأحسست أنى أحدثت خللا ما ، وعندمـا أردت أن أصلح هذا الخلل النفسى الذى تسببت فيه ، لم تسنح الفرصـة عندما أضاعها آفرون بقوله :

ـ أنسيتم أن هناك بعض الأعمال التى يجب إنجازها على سـطح جيتانو قبل أن نغادره .

فنزلت وأنا أحمل صندوق معداتى ، ثم تابعنى آفرون وإيفـانيوس وهما يحملان أجهزه الإتصالات ، بينما ظل هيبرون وهولارز وإيديـا بالمركبة لتجهيز شئ ما وعندما شرعت فى العمل وأنجزت جزءا مـن متطلباته كتثبيت هذه الأجهزة التي سوف تيسـر لنـا طريـق العـودة والتعرف على الكوكب مرة أخرى ، ثم نأخذ عينة من تربته لإجـراء بعض الدراسات الخاصة لمعرفة أسباب عدم وجود كائنات حية عليـه ، فقال ايفانيوس :

ـ آفرون .. إرفع هذا الكابل من فوق ذلك النتوء ومدده على ذلـك السطح الأملس ، الدائرة المغلقة لم يتم توصيلها بعد .

ـ انتظر يا إيفانيوس حتى يتمكن آفرون من تمديد الكابل .

وبعدما أنهى آفرون عمله قلت موجها حديثى لإيفانيوس :

ـ والآن يمكنك توصيل الطرف الأخير بالمركبة .

وهنا بدرت منى صرخة قوية .

عندما صرخت حدث شيء لا أتذكرة ... كأنى غبت عن الوعى أو أصابنى دوار ، سقطت بسببه مغشيا على ، ثم وجدت نفسى أهم للصعود مرة أخرى إلى المركبة دون إستكمال العمل وجميع الرفاق معى والمركبة تهم للإقلاع ، الكل يحتل مكانه ، أزير الماكينات يرتفع ثم يعتدل ونحن نطالع العدادات ومقاييس الطاقة وخلافه ، الذى كان يومض بضوء أحمر متقطع ، والمؤشر الذى يدل على كمياتها يستمر فى الإنخفاض .

ــ ما العمل يا رفاق كمية الطاقة تتناقص .

قالها إيفانيوس بإضطراب فالتفتت إيديا نحوى وهى تطالع المؤشرات وقالت :

ــ لقد وصلت إلى الحد الأدنى .. ما العمل ؟

فانتشلت نفسى جريا نحوها متلهفا لرؤية المؤشرات القريبة منها عند هذه اللحظة ، إنطفأت الشاشات وأظلمت المركبة بينما كنت متحفزا بالخطى السريعة فأصطدمت قدمى بجزء معدنى مثبت بأرضية المركبة وصرت أهوى على الأرض ولكن تلقفتنى إيديا بيديها الرقيقتين لأعتدل مرة أخرى وأستعيد توازنى .

وفجأه أظهرت الشاشات الإلكترونية داخل المركبة بعد أن أضاءت ولفترة بسيطة ، أنه يوجد محطات تمويل للطاقة على سطح جيتانو ، فأنتشيت وكأنى وجدت ضالتى ، ثم تنفست الصعداء بعد أن تملكنى إحساس أننا سنمكث هنا طويلا حتى تأتى المعونة أو يسيطر علينا النبات أو نتعرض لخطر ما ، والجميع كذلك ، ثم عمنا صمت

ممزوج بالدهشة ، عندما قطع سكوننا هذا ، صوت أجـــش مصحــوب برنين له صدى ، مرددا ... .

ــ المحطة قريبة ... الوقود غير كاف ... يجب التمويل .

وأخذنا نتلفت يمينا ويســــارا .. فــالصوت ليــس مـــن العقــول الألكترونية .. ثم وجهت حديثي لإيفانيوس :

ــ أغلق جميع مصادر الصوت ... ثم أستدرت نحو إيديا قائلا وأنــا غارق فى الإستغراب :

ــ أوقفى المحركات ... لنتتبع مصدر الصوت .

فأوقفت إيديا المحركات ولكن الصوت ظل على تردده ورنينـــه .. فقلت :

ــ إنه بالخارج .

استغربت جدا لأنى أحس بالشئ قبل حدوثه ، إن هذا يحدث أحيانا وأنا على الأرض ، كما أحس به عندما يخاطبنى صديق ، ويتملكنـــــى شعور بأن الحديث الدائر بيننا ، سبق وأن قلته مـــن قبـــل ، خفــت أن يكون هذا الصوت شيئا من هذا القبيل أو نكون تحت ســــيطرة آليـــات المستشفى ، فالتذبذب الفكرى داخل النفس يصنع أنواعا شتى من الوهـم ظل الصوت يتكرر مرارا ، ومع تكراره ، كان هنـــاك شــبحا فضيــا ببريق نحاسى باهت يزداد كالقمر فى عرين الدجى ... ومع الصــــوت وتكراره ظل الشبح يتجسد ويتجسد ... حتى اكتمل وبــــانت معالمـــه ، أستطيع أن أصفه الأن .

كان الشبح لإمرأه كاملة الأنوثة ، يلفها ثوب فضى مضئ ، أو هو جلدها ... لا أستطيع التمييز ، ولها وجه أبيض ثلجى تجمد فيه الجمـــال كما تتجمد المياه العذبة فى البحيرة ، إبان شـــتاء الأرض القـــارص ، ويعلو مقدمة رأسها خصلة من الشعر الأصفر الذهبى كأنه ذيل حصـــان برى جامح ، والإحمرار يقطر دما من شفتيها الرقيقتين .

إذا نظرت إليها من أى إتجاه ، تحس بأنها تنظر إليـــك وحـــدك ، لفرط شفافيتها ، كم أتمنى أن يكون لها ملمس مادى كما نحن فلها تأثير فتان وساحر ، تثاقلت به عواطفى ، وتجسدت ، ثم طفت كمـــا يطفـــو الثلج على سطح الماء ، ذلك كان شعورى وحدى ، فـــهل يـــا تـــرى سيكون أيضا شعور الآخرين معى ؟ لست أدرى فاننا داخـــل المركبـــة مفتونون بها ، أما عن شعور إيديا ، فلم ألمح عليها أى شعور للغـــيرة أو أشياء من هذا القبيل ، ولكن إعترتها دهشة هوجاء ، وهـــى تطـــالع فى كل إتجاه ، ثم تسمرت فى مكانى حينما شاورت المخلوقة بإصبعـــها نحوى ، أستطيع أن أميزه بالظفر الأحمر الكبير والمنمق ، إنة يعـــزف مع بقية الأصابع وراحة اليد سيمفونية جمال رائعة .

إن الإحساس الذى أشعر به الآن أنها ظهرت لى وحدى ثم تملكـت العقل وسلبت منى الروح ، ما أقدر سكان هذا الكوكب الغير مرئيـــين على الإفتتان بهذا القدر ومخاطبة الوجد والتمكن منه ، مثلمـــا تمكنـــت منى هذه المخلوقة وكأنى أسيرا مكبلا بـــالأغلال فـــى عـــالم الجـــن والملائكة ، فالقوة التى تسيطر بها على لاتحتمل ، إنـــها مـــن قـــوى الحب الخفى ، الأقوى من الجرافيتونات وجذب المجرات ، ترى هـــل هى حقا جاءت من أجل إرشادنا ؟ .

وظللت أنا والمجموعة نتبـــادل النظـــرات المشـــوبة بالدهشـــة ، والإستغراب مع المهندسة إيديا ذات الثلاثون ربيعـــا وكأننـــا نحفزهـــا

بالإقلاع ، لقد وجدنا ضالتنا إذا فلما التأخير ، فسارت فى أثـــر ذلــك الشبح دون أن تعيرنا أدنى إنتباه ، إنها تريد الطاقة حتى نقلع عن هــذا الكوكب فى أمان ، وتلك فقط ملامح الغيرة التى لم ألحظها فى حينها .

بعد برهة من الوقت ... هبطت المركبة على ربوة عالية ، مثــل فوهة البركان الخامد الذى يتصاعد منه دخان أبيض أشبه ببخار مــاء ، بينما السحب القطنية البيضاء تلف جوانبها فيصطدم بعضــها بالفوهــة ويتشتت ، بالرغم أن معلوماتنا تدل على عدم وجود الماء .

كان لزاما علينا أن نهجر المركبه إلى مسافة مناسبة ، حددها لنــا الشبح ، فالوقود ليس بالقطر أو بالغاز الهيدروجينى المسال ، ولكن من حاملات الطاقة التى حجمها أقل كثيرا من حبــات الضــوء ، وحتــى الضوء نفسه يتكون منها ، وتسمى بالكواركات .

عجيب جدا أمر هذا الكوكب ، لايوجد به ماء ، بينما بخاره يلــف الفوهة ثم معلوماتنا تدل على إنه مهجور وتظهر مخلوقة من قبل غــير مرئية ، فتسائلت هل هى الوحيدة على سطح هذا الكوكب ؟

أم هناك آخرون ؟ وما شكل الذكور عندهم ؟

كنت أتمنى أن تكون هذه خيالات صنعتها أجـــهزة المستشــفى ، ولكن لا فقد أفقنا وعدنا إلى وعينا وتناقشنا ، وحددنـــا المـــهام التــى سننفذها حرفيا ، والأكثر دهشة أن المركز الأرضى لم ينبهنا عن ذلــك إذن فالأمر الآن حقيقة وليس خيال ، ولا جدال فى ذلك .

كنت أظن أنا وأعضاء الفريق ، أن المركبة سيتم شـــحنها وهــى أعلى سطح الربوة ... ولكن سرعان ما بدأت تتلاشى وتختفى تدريجيــا إلى داخل الفوهة ، ولم ننسى إغلاق أبوابها جيدا بعد أن حملنا شـــفرة

التحكم فيها عندما تركناها ، ثم اكتشفت بعد تلاشى المركبـــة أنـــها لا تعمل ، يا للكارثه إن مصيرنا هو الضياع .

تلقائيا جرى آفرون بسذاجة نحو المركبة ليستعلم الموقف ويحـــاول إنقاذها ، ولكنه هبط معها إلى حيث لا ندرى ثم تلاشى أيضـــا ، ســـاد شعورنا حزن وأسى ، ثم أمتزجنا بعلامات الزعر ، الذي كنـــا نمزقـــه أحيانا بتهامس وتجاذب أطراف الحديث ، لقد ضاع آفـــرون إقشـــعرت أبداننا ونحن نترقب اللحظات المقبلة لحظة بلحظة ، وما تحمله لنا مـــن أحداث وعبثا حاولت إستخدام الجهاز الشفرى الذى سبق وأن إخترقنـــا به المستشفى ، ربما يمكننى إختراق هذا البركان ، أبحث عن آفـــرون والمركبة ، أو ربما تفيد شفرته فى عمل شيئا ما ، ولكن دون جدوى .

وفجاه شعرت بشئ ما بدأ يتخللني ، بعد أن اختفت المخلوقة ، ثـــم تبينت من حديثهم أنى أتلاشى وأنا بينهم ، دون أن أسلك مسلك آفـــرون فازداد خوفهم ، من التلاشى لجميعنا الواحد تلو الآخر... إلى أيـــن ؟.. لست أدرى ؟ هل ســـنتقابل فـــى عـــالم آخـــر إســـتقطب تلاشـــينا ؟ وباضطراب حاولوا الإمساك بى ولكن كمن يمسك بالضوء أو بالـــهواء والغريب أني كنت أشعر بلذه ما ، لم أعرف مصدرهـــا لـــلآن ، كمـــا أشعر بأى شئ ... وأرى أيضا كل شئ ... حتى أنـــى أراهـــم وهـــم يبحثون عنى هنا وهناك وقد تشتتوا واستبد الخوف بهم ، إذن عالم بعـــد التلاشى موجود .. يا لفرحتى .

بدأت المركبة تطفو على السطح شيئا فشيئا ، حتى إكتملـــت مـــرة أخرى ، وهم لا يشعرون بوجودى بينهم ... ماذا أصابهم ؟ ... لمـــاذا يهرولون إلى الجانب الآخر؟ . آه ... ما هذا ؟ ... إن شـــخصا آخـــر مثلى تماما هناك ، كأنه انسلخ منى فهو يشبهنى تمـــام الشـــبه ، إنـــهم يتبادلون معه الحديث كما لو كنت أنا .. لقد علموا وتحققو أنه أنا فعـــلا

وقد غاب عنهم لبحثه عن آفرون دون جدوى غريبـــة .. إن الـــهمس الذي يجرى بعقلى .. ينطق به هو ويتحدث به معهم ، قـــدرة غريبـــة على الاتصال بيني وبينه ، وأخيرا صرخت فيهم :

— إنه ليس أنا .. ليس أنا .. أنه نسخ منى .. ابتعدوا عنه .

ولكن دون جدوى ، لم يكن صوتى مسموعا إلا ما يقولـــه ، لقـــد صعدوا المركبة وهم لايعيروننى أدنى انتباه هل أنا غير موجود ، لقـــد اكتفوا بمن معهم .. وأداروها ثم طاروا ، وتركوني وليـــس معـــى أو بينهم آفرون ، إننى أحلم ، تماما كما لو كنت أحلم .. ما العمـــل إذن ؟ حقا ما كنت أريد مغادرة الكوكب من قوه سحر هذه المخلوقة .. ولكـــن ماذا أفعل هنا وحدى ، أنا مدرك واجبى تماما وهذه الرحلة ، ثم أنها لـــم تأنسنى بعد ، إذن أين هى الآن ؟ .. هل هى معهم وقد اختارت الآخـــر ولفظتنى أنا ؟ مثلما فعل الأصدقاء ؟

رباه ٠٠ لماذا كل هذه الحيرة ؟ .. إن الشك آفه خطـــيرة .. ثـــم وضعت يدي على جبهتى ، كى أطمئن على حرارتى ، كتصرف ينـــم على الارتباك .. إنها طبيعية .. وما يدرينى إنها طبيعية أو حتى غـــير طبيعية ؟ .. فأنا لا أدري إن كنت فى كامل وعيى أم لا ؟ لابـــد مـــن العودة إذن إلى المستشفى واســـتخدام الجـــهاز ، واتصـــل بالمحطـــة الفضائية ، فالنبات يعرفنى والحصون المنيعة بها سبق لى اختراقها .

ولما حاولت أن أجربه ، تصاعد الشـــرر الكـــهربى ، والأدخنـــة النفاذة واحترق الجهاز بأكمله ، وتحول الى كتلـــه عديمـــة الفـــائدة ، فتسمرت مكانى دون حراك .

المركبة تتباعد بأقصى ما لديها من قوة ، وأنا تزداد لذتي ... كمـــا أسمع حديثهم معي ، وأحس بكل معانيه وأراهم مـــن حولـــي ، بينمـــا

قدماى هنا على الكوكب ، أنا أشعر بها كما أشعر بثقلى وهـــى تحملــه حتى توارت المركبة عن نظرى تماما .

ثم عادت السماء تتلألأ نجومها من جديد ، وسكون الكوكب يعزف فضية المكان ووحشته ، وأشعه القمر تغازل ترانيم الظلمـــــة ، وهـــى تداعب وحدتي وحيرتى ، ويكسونى بالخوف السقيم .

بدأت أخطو وثبا فى عشوائية مفزوعـــة ، أعيـــش حيـــاة ليســت معروفة ، وأواجه مصيرا غير معلوم ، كأرنب بري يهرب من مفزعـة ثعلب مفترس .. فاختفى بين النتوآت تاره وبين خمـــائل النبـــات تــارة أخرى .

لم أشعر فى التو بأن الحال قد تبدل ، فالنبات هنـــا ليـــس كنبـــات المستشفى فمنه المزهر ومنه المثمر ، والزهور متنوعـــة .. والغالبيـــة منه على شكل زهر اللوتس ، بينما الثمار كحبات اللؤلؤ وهـــى تتدلـــى من الأغصان كالثريا ، لم أسائل نفسى من أين له بالماء أو الـــهواء ، أو كيف ينمو ؟ أو كيف يموت ؟ كما أنى لم أشعر بجوع أو عطش مثلـه ، فأنا خارج المركبة ، والغذا ضرورى للحياة .

كنت أشعر باليأس وأنا أهرب .... ولكني ماض إلى قـــدر أكيــد ومحتوم ولا أعلمه ، وفى نفس الوقت كنت أحســب المســافات التــى تقطعها المركبة وهى فى طريقها نحو النجم النيوترونى ، بالرغم مـــن تحذيري لهم وتفضيلى للثقب الأسود عنه ، فلم تكـــن لـــى القـــدرة أو الرغبة حتى أن أناقشهم فى ذلك ، ولكنى كنت أتبـــادل مـــع الرفـــاق أطراف الحديث ، كنت أشعر بالحدثين معا ، وأعيش مع كـــل منـــهما معايشة متكاملة ، فأناقش هناك داخل المركبة ، وأنزوي هربا هنا علـــى جيتانو ، بتداخل فكري لم أعهده من قبل .

لقد ساورتني هواجس وتساؤلات كثيرة ، هـــل أصبـــت بمـــرض نفسى معين؟ .. أم هل تراني قد تناولت أحد عقاقير الهلوسة ؟ .. كـــلا لم يحدث شئ من هذ القبيل ، ثم رجعت إلى أعماقى متسائلا ، هل أنـــا هنا بجسدى ؟ أم بعقلى فقط ؟ .. هل أنا مستنســـخ ؟ آه لـــو أدري ! .. ولو كنت بعقلي فقط ؟ .. فكيف إذن ينفصل العقل عن الجسد ؟ .. مـــن البديهى أن العقل الظاهر يتوقف أو ينفصل عن الجسد عنـــد النـــوم أو الموت ، حيث يعيش العقل بعيدا عن قيود الجسد وسجنه ، وأنا لســـت بنائم أو ميت ، إذن وبدون جدال أنا مستنسخ ، أو أكون متقمصا داخـــل شخص ما ، أو شخصية ما تتقمصنى ، لست أدرى ؟ .

العديد والعديد من الأسئلة أخذت تساورنى وتتزاحم فى فكرى وأنـــا أحاول أن أجد إجابة حاسمة لـــــها .. كمـــا أن البشـــر بكـــل تطـــوره وحضاراته ، لم يستطع الإجابة عليها .. عموما فأنا أعيش الآن اللحظة تلو اللحظة ولا أشعر بالزمن .. أطير بين الزهر كالفراشة الحـــرة . أو أهرب أحيانا من لا شئ .. وفجأة وجدتني أهوى داخل فوهـــــة زهـــرة لوتس برية وأخذ حجمى يتضاءل ويتضاءل ، وينكمش إلـــى داخلـــه ، وأنا اجتذب إلى عمق سحيق .

كل شئ من حولي يتمدد ويتمدد وأنا أنسحب إلي داخلـــي لـــيزداد تضائلي وتقلصي ، حتى وأنا في هذه الرحلة إلي أعمـــاق التصغـــير ، كنت أري جزيئات المادة ، كأنها هي التي تتمدد وتزداد في الكبر إلـــي حجم الكوكب وأنا ثابت الحجم ، ثم تتلوها الذرات هي أيضـــا تـــزداد تمددا إلي نفس الحجم من الكواكب .

كنت أراقب هذا منذ بدأت جزيئات المادة الدقيقة تتفصد وهى تنمـــو متزايدة في الكبر وأنا اجتذب نحو شئ ما كالمسافر من الكبـــير إلـــي الصغير ، أو مسافرا من كوكب يدور حول نجم ، إلي الكترونات تـــدور

فى ذرة ما فمهما تصاغرت تجد ما هو أصغر بما لا يقارن ، ومـــهما كبر حجمك حتى لو وصلت إلى حجم النجوم تجد ما هو أكبر ، فـــهذا هو الوجود عالم غير منته بين أى نقيضين .

ثم أستقر بى المقام أخيرا مرتميا على كوكب الكتروني الحجم ولـه سطح بنفسجى ، متموج وناعم ، مؤلف من كثبان دخانيـــة التكويـــن ، ويعلوه رياح وسحب ليست من الهواء أو الماء ، إنما مـــن تموجـــات حبيبات الطاقة الكهربية الممزوجة بتموجات حبيبات الطاقة المغناطيسـة ويدور حول نجم ما هو إلا نواة لتلك الذرة ، أما المنازل عليه كحبـــات اللؤلؤ وكأنها من مادة السليكون الأبيض المصهور .

ثم دخلت إحداها وأنا مسير لذلك ، فتجهمت قائلا ... "الله"... مـــا أبدع هذا المنظر ! الذى يخلب الألباب مـــن فـــرط جمالـــه وتناســقه وروعته ، فلم أشاهد نباتات بهذه الرقة وبهذا الكم الهائل من الزهـــور البديعة ، مختلفة الألوان والأحجام ، ومادة خلقه تختلف عن مادة خلقــه على كوكبنا الأرض وهى تنتشر هنا وهناك ، إنها الجنة ، حقـــا إنـــها الجنة ذات النهار النفسجى الدائم التى وصفت فـــى كتـــب الأقدمـــون وتعاليمهم ، ليتنى أعلمها .

لقد بدت على علامات الدهشة والسعادة وأنا هنـــا فـــى الجنـــة ، ويلاحظها الرفاق على المركبة فيتعجبوا ، فكل انفعالاتى كانوا يقرأونها على وجه قرينى الموجود معهم .

وتعجبت أنا أيضا لأنى هنا على جيتانو وهناك على متن مركبتـــهم ملعون .. ملعون هذا النسخ .

بدون مقدمات وجدت نفسى آمرهم فجأه بكبـــح الســـرعة ووقـــف المحركات فالمركبة لو إستمرت بسرعتها تلك فإنها ســـوف تقـــع فـــى

خطر داهم لقد أقتربنا كثيرا من المسافة الآمنـــة للنجـــم النيوترونـــى ، عجيب أن أحيا حدثين فى آن واحد !.. والأكثر عجبا ألا أعلم ماذا بـــى حتى الآن ! .. أعيش الجنة وأرى الإبداع ، وفى نفس الوقـــت أحـــس بالخطر على متن المركبة .

وفجأة إنتابنى شعور تدريجى بأن شئ ما بدأ ينســـلخ منـــى ، وأن اللذة التى كنت فيها بدأت تتقشع .. شيئا فشيئا .. ويعود الشبح للظـــهور مرة أخرى ، ويتجسد ويتجسد بأبهى ما تكون الصوره ... ربـــاه ... ، إنه نفس المرأة سابقة الظهور ... ولكن بزيها الحياتى على كوكبـــها ، هنا فقط بدأت أستعلم ماذا يحيط بى .

إننى نقلت بكامل وجدانى إلى الأعماق الدقيقـــة لكوكـــب جيتـــانو وليس على سطحه فهو مهجور ، وأنا أعلم ذلك ــ غريب أن أعلم شيئا من الحقيقة ــ بدأت تلاطفنى هذه المخلوقة الجميلة والتى تراها فـــى أى استداره لها وهى تتبادل معى الحديث ، وتطلب منى أن نطفـــو ســـطح اللؤلؤة ،التى ندخلها بالإختراق ونخرج منها بنفس الصورة .

والمرأه هى المرأه فى شتى الأنحاء ، ومن أى خلق كـــانت وفـــى أى كون ووجود عندما احتوتنى وتملكتنى ، همت لتزيل عنى الرعـــب وتشعرنى بالأمان ، وأنا مجادل سفسطائى أرضى كثير الأسئلة وحـــب الاستطلاع ، لا يرضى عن أى شىء أن يكون بديلا لأى شىء ، ثـــم ها أنا ذا أنصاع لها ، وأحذو حذوها دون جدال .

كانت تستميلنى ، ثم تتخللنى من وقت لآخر ، وأشعر بذلك حيـــن أشعر باللذة وهى تعاودنى ، ونحن بداخل اللؤلؤة ، ولم أدرى كم مـــن الوقت مضينا ، كل ما أعلمه أنها من الداخل زرقاء ، بلون الســـماء ، وقد ملئت إلى ثلثيها بالماء ، والفراش يطفو على سطحه ، ولـــم أدرى

أيضا إن كانت البلورة ساكنة أو تتدحرج على سـطح هـذا الكوكـب الغريب .

أخترقنا اللؤلؤة ، وعرفت أن الحالة السابقة لى هـى حالـة مـن حالات التزاوج الجيتانى حينمـا سـيطرت المخلوقـة علـى فكـرى وأمتزجت بى أول مرة ، وأتخذت من اللؤلؤه مسكننا ، فسألتها بـتردد وفى عفوية بلهاء ، كما لو كنت أرغب فى العودة إلى الوطن وقد مللت من هذا الجمال الرتيب ، محاولا إقناعى به .. هل أنا هنا للأبد ؟ .. ثـم أحسست بعدها أننى لازلت أجادل ! .. فتلقيت الرد منها علـى شـكل تلاشى للسمات والمعالم ، وخفت أن أعود وحيدا ثانية فلاحقتها بأسـفى وطفقت أخصف على نفسى بأبتسامة عريضة تنم عن سـعادتى معـها نفاقا .

كانت تعلمني وهى تعلمنى فى صمت ، ثم عـادت لـها السـمات والبسمات ، وهنا عادت سعادتى حين تبـدد الخـوف مـن الوحـدة ، وعندما تعلمت منها المعانى ، طرنا ، والهوى يسرى فـى جوانحنـا ، وقد تعالت هى شموخا وجمالا، وطال طيراننا فوق السـحاب تـارة .. وفوق قمم الأشجار .. وفوق الأنهار تارة أخرى .. والكوكب من تحتنـا صورة رائعة من الجمال الغير آسـن – مـالا عيـن رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر ببال أحد ، المخلوقات هنا وديعة وبدأت تظهر لأننـا فى النهار ، وهى غاية فى الرقة والجمال ، علاقاتها تتم فى صمـت .. إنهم لا يتكلمون ففى الصمت حلو الحديث وأبلغه .. غرائزنا وأطماعنـا الأرضية لا مجال لها هنا .. رباة .. لو أننى أعلم الجنه لقلت ها هى .

انتشينا جالسين ينظر كل منا للآخر ولا يمل ، ونحن علـى ربـوة نهر ينساب الماء فيه بصوت عذب ، وكل شىء حولنا يعزف و يغنـى كنت أحس بذلك وأراه طيفا ولا أسمعه ... وجال بخاطرى أن أسـألها

عن أسمها وعن كيانها وكينونتها ، ثم أحسست أنى ثرثار كثير الرغــى ، المفروض أن تكون نورا أو ملاكا والملائكة لا تسأل عن أســمائها ، بصراحة أنا أحب ، ووجودى على هذا الكوكب لأنى أحب .. والمحـب يعيش الحب دون أن يشعر بمن حوله .. أو يدرى أنه يحـــب .. فــهو متجانس ولا شيء يفصمه عمن يحب .. هكذا أحيتنـــى آشــى ، هــذه المخلوقة الجميلة وبعثت فى هذه المشاعر وهذه الأحاسيس .

أنتبهت فجأه على شيء ما يحدث للمركبة ، لقد كان عقلى الظـــاهر يراسلنى من على متنها بكل الأحداث ، والأحـــاديث رأيتــها وكأنــها تتعرض لقرصنة كونية أو كارثة من نوع ما ، ياه لقد تخطت المســافة الآمنة للنجم النيترونى .. ياللكارثة .. إيديا يختل توازنها فى القيــادة .. أنها تنحرف عن مدارها حول النجم ..

ــ ماذا بك يا إيديا ؟ ! .

صرخت فيها وأنا أسألها ، بلهفة وهى تحاول الـــهرب بالمركبــة بكل ما أوتيت من قوة ، الإنحراف يزداد ... المركبـــة تخضـــع لقــوة جذب رهيبة وقوية نحو النجم ... ثم تستطيل ، وتزداد نحافــة عنــد وسطها ، لقد حدث لها مط كما لو كانت قطعة من المطـــاط ، أســفلها يقترب بسرعة رهيبة من النجم ، بينما ا علاهـــا تهاجمـــه القراصنـــة ويهتز بعنف ، وهو على بعد شاسع من النجم إن الجزء العلوى يـــهوى أيضا بأسرع من أسفلها ، حتى إصطدم بالنجم وهو يدوى بصوت لـــم اسمع بعنفة من قبل ، لتتحول المركبة فى النهاية إلى كتلة هائلـــه مـــن النار والإشعاع والدخان ، سرعان ما تلاشى وأنا أصرخ :

ــ كارثة ... كارثة ... النجدة ... النجدة .

ــ ظللت أردد ويزداد صراخى ، ولكن دون جدوى .

ثم أخذ القلب يخفق خفقانا غير عادى ، والصـــدر يعلــو ويـــهبط بسرعة كبيرة ، فقد انقطعت الصلة بينى وبينهم ، إنهم فــــى الســحيق الفانى ، واحسرتاه .. لقد خسرتهم .

ولما فقدت الأمل شرعت أبحث عن آشى وأنا ألتفت يمينا ويســـارا كالمجنون ، ولكن وجدت نفسى متكئا بظهرى علـــى إحــدى النتــؤات بسطح هذا الكوكب الصامت ، مثلما فعل آدم جدنا عندما طـــــرد مـــن الجنه .

إن ما حدث لى على سطح هـــذا الكوكـــب المشـــئوم ، بكائناتـــه المسخيه ، ليس سحرا ... إنما هم مخلوقات رقراقة فعلا ، ليـــس لـــهم لغة يحتاجونها عند التخاطب ، كما أنهم فى غير احتياج لأى شــــىء ، وليست لهم غرائز مكنونة أو رغبات أو شهوات ، كيف تكون إذن هـذه الحياة ؟!

انها صامتة ورتيبة ، وعندما تكون لديهم الرغبة فـــى التناســل ، تأتى الملكة كرمز للجمال الساحر ٠٠ وفى صورة آشى ، ثـــم تتخلــل جسد الزائر ، وتقطف شيئا ما من بعض أوكل خلاياه ، وتشعره بـــاللذة وتتخذ من عقله الباطن وكرا تسكن فية ، ثم تفصده عن جســـده ، ثـــم تلفظ الجسد ، مكتفية بما حصلت عليه ، وبعد ذلك تأخذ فى التضـــــائل إلى حيث اللاحجم ، وانت معها بعقلك الباطن فقط ، ثم تســـكن علـــى أحدى المكونات الأولية للمادة وهى الذرات ، فهى تشبه النجـــم ومـــن حوله الكواكب .

هناك ترى المخلوقات والنسخ على جميع أنواعه ، الصغار والكبـار لا يأكلون أو يشربون ، يقضون حياتهم إن كانت محدودة أو ممتدة فـــى حالة غناء وعزف وطرف هادىء ، يخيم عليه الصمت وكأن ذلك هـــو

غذائهم ، وينخرط الزائر معهم فتراه وديعا لا حيلة له ، ولا إرادة ، أما كم هو عدد الزائرين ؟ .. فلست أدرى ؟ .

كما أن هناك بلايين البلايين من مكونات المـــادة الأوليـــة التـــى يحتويها كوكب جيتانو .. وأظن أنها ممثلة بمثل هذه الكائنات وهـــؤلاء الزائرين .

تستطيع أيضا وأنت فى هذه الحالة أن تنتقل من كوكب داخلى إلـى آخر دون الحاجة الى مركبات فضائيـــة ، أى مـــن ذرة إلـــى أخــرى كالمسافر عبر الكوكب والنجوم ، فترى العديـــد والعديـــد مـــن هــذه المخلوقات فى تنوع فريد وبديع .

عندما تقضى الملكــــة آشـــى حاجتـــها ، وتســتعد للمخــاض أو الإستنساخ ، توهم الضحية بكارثة مفجعة وتزرع فـــى عقلـــه البـــاطن الرعب ، ليهرع إلى جسده منتقلا من حالة اللاحجــــم ، إلـــى الهيئـــة الطبيعية التى كان عليها ، تماما مثلما حدث لـــــى ، ورأيتنـــى أســتند بجسدى على إحدى النتوءات القريبة من المستشــفى بعــد أن أعيـــانى التعب .

فعندما قمت بتركيب بعضـــا مـــن الأجــهزة الكونيــة الخاصـــة وتوصيلاتها الكهربية ، والتى سترشدنا فى رحلات الذهاب والإيـــاب ، من وإلى الكوكب ، وكان يساعدنى فى هذه المهمة آفرون الذى يرقــــد الآن إلى جوارى ، ذلك العامل الأسود فى عقده السادس ، يعترى فروة رأسه الجعداء المتداخلة ، بعض المشيب ، أما العرق واللمعـــــان فــلا يفارقان جلد وجهه السميك ذو الشفتان الغليظة والأنف الأفطس الضخـم وهو أيضا مفتول العضلات ممتلئ الجثة .. بينما بقية أعضاء الفريـق ،

قد استقلوا المركبة ، لدراسة المعالم الجيلوجية وجمع بعـــض العينـــات من تربة هذا الكوكب الملعون .

إنها مهمة علمية بحتة على سطح جيتانو المـــهجور ، ولـــم أدرى هل حدث لآفرون ما حدث لي .. أم لا ؟ .. عموما سوف أسأله عندمـــا يفيق من غفوته فهو منهك مثلى .

لقد استيقظت قبله وأدركت كل شئ من حولى ، ولكن أين آشـــى ؟ وأين المسخ ؟ .. لقد عاد جيتانو إلى سكونه وصمته مرة أخرى .

بعد برهة من الوقت ، وصل الفريق .. وحطمت المركبـــة علـــى بعد أمتار منى .. وشرعت فى إيقاظ آفرون ، الذى كان يغط فى ثبـــات عميق ممددا بكامل جسده ، ونهضنا بخطا نشطة لنعتليها ، وجلس كـــل منا فى مكانه ، وأخذت ألاحق إيديا بنظراتى الفاحصة ، وبقية الفريـــق حتى يمتلئ شعورى بوجودهم ، وصدر سؤال منى بلعثمة ، وأنا شـــارد الذهن أستفسر عن الوقود وكمية الطاقة على المركبة والتى أمدتنا بـــها آشى ، وقبل أن أنتهى من سؤالى ضجت قاعة القيادة بالضحك المتفجـــر من الأعماق ، كما لو كنت أذرفتهم بنكتة صارخة .. فالطاقـــة علـــى المركبة لا تنتهى ولا تفنى ، فهى من النوع التحويلى المحفـــوظ وأنـــا أعلم ذلك جيدا ، ولكن كانت الكلمات تنسحب منى رغما عنى ، وكـــأنى تحت سيطرة ما .

توقف حديثى ، وتوقفت أيضا نظراتى ، ممسكا الطـــرف الأيمـــن من شفتى السفلى بطرفى أسنانى ، ورأسى يهتز بدهشة وإستنكار ..

ماذا بهم ؟

وما الشئ المضحك فى كلامى ؟

هكذا كنت أتحدث إلى نفسي وأنا أرسل بنظراتي إليهم فردا فـــردا كأني أستمد كشف غموضهم الضاحك ، وازدادت شفقتي بنفسي عندمـــا أستدرت نحو آفرون سائلا إياه عما فعله مع الملكـــة آشـــي ، فـدوت ضحكاته عمق القاعة عندها أدركت بأني أهزي فعـــلا كمـــن أصيـــب بالحمى .

ولكي يبددوا هذا الهزيان أخبروني أن تيار كهربيا قـــد صعقنـــي وطرحني أرضا وجعلني جثة هامدة تحتضـــر ،عندمـــا كنـــت أثبـــت الأجهزة ، وإيفانيوس يصل الكابل بالمركبة لمـــرور الطاقـــة فشـــرع الفريق ، في قلق وخوف جم ، لاسعافي .. وعلـــي رأســـهم الطبيـــب هيبرون ، الآرى السحنة والملامح تعلو وجهه صفرة باهتـــة ، وهـــو ضئيل الحجم .. وأنا في غيبوبة تامة ، وأدنو كثيرا من الموت ، فـــأخذ يضغط على صدرى ، وإيفانيوس مساعد إيديا لشئون القيـــادة ، يدلـــك جسدى الممدد على سطح الكوكب ، بينما تسحب إيديا الزفير من فمـــي بما يسمى " قبلة الحياة " .. وهم في عجلة مـــن أمرهـــم ، لأن موعـــد الإقلاع يقترب .

ثم بدأ القلب ينبض ثانية .. والدم يسرى في عروقـــي ، والحيـــاة تدب في أرجائي .. عندها عرفت أني كنت فـــي حالـــة مـــوت .. وأن كينونة العالم الآخر هي التي احتوتني .. فتركوني أخلد للراحة مســـتندا على ذلك النتوء بنصف ظهرى وبقية الجسد ممدد على أرض الكوكـــب بينما آفرون قد تمدد بكامل جسده عندما أنهكـــه العمـــل ، ثـــم ذهبـــوا لاستعلامه وجمع عينات من تربته ، وطلبوا مني أن أقص عليهم ما ألم بي من جديد فبدأت أحكي والابتسامة لاتفارقنا .. بينما المركبة تغـــادر المجال الجذبي لهذا الكوكب الصامت المهجور ، إلى أعمـــاق الكـــون الفسيح .

انطلقنا من جيتانو ، ونحن غرقى فى الضحك ، وأنـــا أســـتعرض أحلامى وهواجسى عندما كنت محتدما فى غيبوبتى ، أو بتعبـــــير أدق عند إحتضاري ، والكلمات تخرج من فمى ، بنبرات طفل تسيطر عليـه أحلام اليقظة ، وإيديا بين الفينة والفينة ، تجتذب منى النكتة ، لنعــــاود الضحك ، عندما تخمد ثورته

هدأ الضحك .. ثم فاجأنى هيبرون بقوله :

ـــ أستطيع الآن أن أقول أن الموت هو ما كان فيه آدوم .

فقلت ثائرا .. كمن يصحح مفهوما خاطئا :

ـــ الموت .. هو انفصال كامل الروح .. ثم يبلى ويتحلـــل الجســـد ويعود ترابا .. وأنا لم يحدث لى ذلك .. كــــل مــــا حـــدث أن العقـــل الظاهر انفصل عن الأجهزة الجسدية التى ظلت تعمل وأنا فى غيبوبتـــي تماما كما حدث لجيان.

ثم تابعنى هولارز مؤيدا :

ـــ الحياة بعد الموت موقف آخر ووجود آخر غير الذي نحن عليه

واشترك آفرون فى الحديث .. قائلا :

ـــ أنا لم أسمع أحدا وافته المنية ،ثم عاد ليقص علينا حياته هنــــاك

ثم قلت موضحا :

ـ الموضوع كله مجرد كابوس من نوع ما ليس إلا .

القاعدة الأرضية من جانبها كانت دائمة الاتصال المنقطع بنا بواسطة شعاع الليزر الذى لم يفارقنا أينما ذهبنا ، منذ بدأنا الرحلة دون أن نسمع صوت الرئيس ، ولكن ببيانات رقمية فقط ، ونحن نجذب فى هذا الفضاء الرحب الشاسع الذي تنعدم فيه الاتجاهات .

كنا نعتمد على العقول الالكترونية المبرمجة ذاتيا لحفظ هذه الاتجاهات ، كما كانت تطالعنا الشاشات التلفزيونية بين اللحظة والأخرى بالكتل الصخرية أو الكويكبات التى تسبح فى الفضاء ، ثم تحصر النجوم الحاضنة لها وأنواعها والافلاك التى تتبعها ، ثم تختزنها على شكل مسارات وخرائط ومعلومات للاستفادة منها فى التوجيه وتحديد مكاننا بالمجرة ، إنها مجرة التبانة ، التى تبدو فى السماء كاسطوانة منشار ، تدور حول نفسها ليزداد تسارعها وهى تعبر الفضاء وفيها شمسنا بكواكبها .

كنا نمخر اكاليلا من الغبار الذرى المسمى بإكليل الرشاش ، التى تنحتها النجوم فى فلكها عبر المجرة فتراه يلف حلزونيا حول نفسه بسرعة كبيرة ، والمركبة بسببه تهتز وتضطرب كما لو كنت تسبح بطائرة شراعية خلال مرتفعات أو منحنيات أو منخفضات هوائية ، أشبه ما تكون بالمطبات الجوية ..

صاحت إيديا مندهشة :

ـ أنظروا .. أنظروا جهة غرب الشمال .. هذا هو النجم الماسي تصوروا هذا النجم من الماس .

ـــ إنه ثروة كونية هائلة .. ولكن بماذا تفيد هذه الثروة مع صعوبـــة الهبوط عليه أو حتى أخذ عينة منه إن قطعة صغيرة بحجم التفاحة تزن مئات الملايين من الأطنان .. كما أن النجم شديد الجذب .. وكثيرا مــن المركبات تفجرت علي سطحه .. هكذا قال جيان في أحد محاضراته .

ثم سال إيفانيوس :

ـــ ألا يتفتت ؟

فجاوبت وأنا أطمئنه :

ـــ إنه يتطور من حال إلى حال وربما ينفجـــــر وتتنـــاثر أجزائـــه بالكون .

المجرة منبسطة فى محيطها الخارجى ، ومنبعجة عند المركـــز ، ولها ألسنة معقوفة بانحناء يخرج منها مجالات مغناطيسية شديدة تلفـــح فى الفراغ ، وهذه الألسنة تحتوى على نجوم باردة وجــرداء لايتبعـــها كواكب فهذا النجم الماسى وذلك النجم بلاتينى وآخــر ذهبـــى ونجــوم أخرى تصنع العناصر وتتطور من معدن لآخر حيث أنه يتحرك فـــى عشوائية لينفجر بعد ذلك وتتناثر أجزائه فى الكون مكونـــة الكواكــب والمذنبات والنيازك والشهب والغبار النجمى .

المجرة تسكنها مخلوقات ، فى مضمونها الفكرى والعقلانى ، بيــن البدائية والمتوسطة وأعلاها رتبة الإنســان ، فمجــرة التبانـــة ليســت بالمتطورة ، والحضارات التى تنشأ داخلها ، سرعان ما تندثـــر بفعــل الفكر المشوب بالأطماع والنزوات ، وحب التملك والسيطرة ، وتناســي الخالق ، لذا فالحروب والغزوات هى سماتها ، كما إنها آفة الحضارات

ـــ أنا قلق جداً يا إيديا .. خاصة وأن رئيس القاعدة .. لـــم يتكلـــم بعد .

ـــ أوه يا آدوم دعك من هذه النظرة المتشائمة .

ـــ لست أدرى .. ولكن الشعاع الليزرى لازال يتعقبنا .

ـــ فيزيائياً .. ربما يكون الشعاع الليزرى إنقطع من مصدرة منـــذ فترة ، ولم تصل إلينا نهايته فنحن علي بعد مئات الملايين من الســـنين الضوئية ، بينما سرعة الضوء لم تكن بالسرعة المرغوبة حتى نـــرى لحظة الانقطاع للشعاع الليزرى في حينه .

لما وصلنا للطرف الآخر من المجرة والمركبـــة تعـــاني وتجابـــه أخطار الرحلة العديدة والمتنوعة ، وبينما كنا على وشك الإفلات منـــها إصطدمنا بكمة مغناطيسية كرية الشكل تحمل طاقة هائلة فى داخلـــها ، ثم تلتها كمات أخرى سابحة فى الكون من لحظة الانفجـــار العظيـــم ، وأخذت هذه الكمات تضرب المجالات الجذبية والمغناطيسية للطـــرف الذى وصلناه ، بقوة زلزالية عنيفة لم نرصد مثلها قط .

نتج عن هذا الاصطدام العنيف للمركبة بهذه الكمة اختـــلال فـــى القيادة ، وإهتزت بعنف مثل قذيفة بها قطعة صلبة فتساقطت الأجـــهزة بينما كنا نحاول أن نتماسك خشية السقوط والتصادم بجوانب المركبـــة الفولاذية ، ومن جانب آخركانت الموجات فوق الصوتية الحادة صمـــت آذاننا ، وإيديا تصرخ ، ونحن فى ارتباك وذعر ، نحاول الإصـــلاح ، أو تثبيت هذه الأجهزة التى توشك على السقوط وتوصيلاتها تتمـــزق، ويهاجمنا شررها الكهربي ، وتتصاعد الأدخنة النفاذه من كل مكـــان ، فأخذنا نسعل والدمع يملأ أعيننا ونحن نتخبط بجدران المركبة .

ثم وبصوت مرتفع خاطبت تلك المجموعة المزعورة قائلاً :

ـ آه لقد حدث ما كنت أبحث عنه عندما كنت على سـطح الارض الزلزال الكبير .. الزلزال الكبير ضرب الأرض .. الأرض فى دمـار .. الآن فقط عرفت مصدره .. إنه هذه الكمات ..

حاولنا بجهد بالغ الاتصال بالمركز الأرضـى بواسـطة الجـهاز الوحيد الذى يعمل ولكن دون جدوى ، فعندما انحرفنا عن مسارنا وتـاه عنا الشعاع الليزرى ، ثم ارتطمنا بكتلة صخرية كبيرة كالجبل ، ولـها ذيل نارى طويل جدا يجرى من خلفها ، إنها مذنب يعلو سطحه جليـد متبلد من بقايا نجم منفجر ويجوب قطاعا كبيرا بالمجرة وللأسـف لـم نستدل على فلكه ، فألقانا على سطح كوكب صغير ، نلتصق به كقطعـة مطاطية وكنا فى اضطراب لم يروعنا مثله من قبل ، ثم ارتمينا علـى أرض المركبة الواحد تلو الآخر ، ولولا إنها محصنة جيداً ومصنعـة من الفولاذ المتصلد الغير قابل للانفجار لأصبحنا فى شأن آخر .

هدأ الزلزال ، وهدأت أنفسنا واستعدنا قوتنا ، فأمامنا عمل مضنـى وشاقٌ فى إصلاح ما تلف سواء لنا أو للأجهزة ، فقد أصبـت ببعـض الجراح فى جبهتى وزراعى سرعان ما ضمدتها ايديا على الفور ، كمـا أصيب إيفانيوس بكسر فى ساقه عندما سقط عليه رف حديـدي فـارغ كان يحمل أحد الأجهزة التى ثبتت على سطح جيتانو ، فتولى هيـبرون مهمه التجبير ، وحمدت الله أن الباقين بخير لم يصبهم أى سوء إلا مـن دوار ، أو بعض الخدوش البسيطة وقد عولجت .

قمنا جميعا للإصلاح ، وكل فرد من المجموعة مختـص بقطـاع يحاول ميكانيكيا تثبت الأجهزة الخاصة به ، أما فنياً فـهذا دورى ... إستخدمت المجسات الألكترونية لإختبار كفاءة وعمل كل جهاز علـى

المركبة ، ثم ذهبنا إلى جهاز التحويل وحفظ الطاقة الرئيسى عليـــها ، اختبرت توصيلاته الداخلية وجدت أنها لم تصب بسوء ، أما الذى تلـف فهو الكابل المتصل بخارج المركبة لامتصاص الطاقة وكان لزامـــا أن يخرج بعضنا بما فيهم أنا .. ثم استخرجت من الجهاز طرفه المعدنـــي وقلت موجها لإيفانيوس الذى سيظل هو وإيديا داخل المركبة .

ــ حاول ألا يفلت منك هذا الرأس المعدني .. وحافظ على طـــول هذا الجزء البارز بالذات .

وقال هيبرون محذرا :

ــ قبل أن تنزل يجب رش أســفل المركبـــة والمنطقـــة المحيطـــة بالأشعة حتى نقضى على الفيروسات والجراثيم الكامنة فى التربة .

ــ آفرون هذه مهمتك يا بطل .

تولي آفرون حراستنا من هذه الكائنات الغريبة ، بينما إندمجت أنـــا وهولارز فى استبدال الكابل الأساسى الموصل للطاقة مـــن بطاريـــات الشحن المثبته على جوانب المركبة والتى كانت تعمـــل بكفاءتـــها لأن الاصطدام بالمذنب كان ببطن المركبة وممتدا للجانب الآخر منها .. ثـم أمسكت بمديتى لاكحت التراب العالق بالمركبة وجمعته فـــى جـــراب خاص لفحصه لتحديد النجم الذى يتبعه هذا المذنب الملعون .

صعدنا دون أذى للمركبة وإيفانيوس على حاله ، فأســـتلمت منــــه الطرف البارز ثم وصلته بالكابل الخارجى ثم استدرت نحو إيديا قـــائلا بتفاؤل :

ــ تستطيعى الآن تشغيل المركبة .

ـــ عظيم .. شجعتنى وهى تداعب مفاتيح التشغيل .

ثم عادت الأجهزة تعمل بكفاءة كما كانت من قبل ولم ترصـــد أى معلومات عن الفترة الزلزالية التى هزت طرف المجـــرة داخـــل هـــذه العقول الإلكترونية ، كيف إذن سنغادر الكوكب ولا ندرى أين نحن ؟ .

جلست مع إيديا نجري حسابات غاية فى التعقيد مثلمـــا أجريناهـــا ونحن علي الأرض بعد أن استعدنا الخرائط من طابعات المركبة ، ثـــم نغذى بها العقول الإلكترونية حتى تمكنا من تحديـــد مكاننـــا بـــالمجرة والكوكب الذى هبطنا عليه ، فالتقنية لا غنى لها عـــن العقـــل والفكـــر البشرى مهما بلغت .

• الكوكب مريب ويحتوى علي جراثيم وفيروسات كونية فتاكة مـــن شتى الأنواع والأحجام ، والمخيف منـــها ذلـــك النـــوع الإشـــعاعى ، فبالرغم من أنها مخلوقات بدائية إلا أن لها قدر من الذكاء والســـلوك ، وقد يشك البعض أنها من أحد الفصائل والرتب الحيوانية ، ولكـــن لا .. فهى وحيدة الخلية ، وعندما تهاجم الفريسة فإنها تنقض عليها لتبتلعـــها إلى داخلها ، وتري الفريسة بعد ذلك وهى تسبح فى السيتوبلازم ممـــا جعلنا ننتهى من مهمة الإصلاح بأقصى سرعة ممكنـــة لنغـــادر هـــذا الكوكب ، ثم أقلعنا صوب مجرة السوبر نوفا ، بعد أن أفلتنا من جـــذب مجرة التبانة .

الفراغ بين المجرات

لما وجدت إيديا أني منصرف عنها بمراقبة الفراغ الكوني بين النجوم وإندهاشي به ، وإحساسها بالوحدة .. شدت إنتباهي قائلة :

ـ أتتذكر يا آدوم عندما سألتك ونحن على الأرض .. عن عمر الكون ؟ كنت أريد معرفة إجابة حقيقية عن تمدد الكون .. وهل نحن نتمدد مثله ؟

ـ نحن نتبع الكون فى تمدده .. وتلك هى آخر محاضرات جيان فنتمدد أو ننكمش بالتصاغر مثله ولما كان كل ما يحيط بنا يتمدد .. فإننا لانشعر بتمددنا .. ولكن نتمدد ويزداد حجمنا فعلاً وهذه حقيقة ، أما فى الفراغ بين المجرات فإن الأمر يختلف تشعرين دائماً وأنك فى تقلص وتضافر دائم إلى اللانهاية .. لأن كل شئ كالكتل الصخرية والكواكب والنجوم تبتعد من حولك حتى لو كنتى ساكنة دون حركة .

ثم عقب هولارز على المعلومة الأخيرة فقال :

ـ أنا لاأظن أن هناك شئ ساكن مطلقا .. فكل شئ يتحرك حتى ما كنا نظنه جماداً ، الفضاء هنا شاسع وشديد الظلمة ، ويتمدد ويتباعد من حولك بسرعة هائلة ، هى سرعة الضوء ، حتى أنه من النادر أن ترى ذرة غبار واحدة ، ونحن نسير بسرعة بطيئة جداً ، وأقل كثيراً من سرعة الضوء ، وإذا مكثنا بها فلن نلحق بالسوبر نوفا ، لأن كل شئ من حولنا يتباعد ويتمدد ، وسنبدو وكأننا نسير فى اتجاه عكسى ، وسترمينا الصدفة وحدها إلى أى مجرة غيرها عندما تلحق بنا وهى تسبح بتمددها فى الكون .

وينتابك إحساس غريب ، لما ترى كل شئ يتمـــدد ويتبـــاعد مـــن حولك فى تشتت كأنه ينطلق من نقطة واحدة هى عينيك ، وتحس كـأنك تتضائل إلى داخلك ويصير حجمك أقل من حبة الرمل بكثير (مجـــرد إحساس) إذا نظرت فى أى اتجاه تشعر كأنك تسير فى الاتجاه المضـاد سواء كنت واقفا أو تتحرك صوبـــه ولذلـــك زودت مركبتنـــا بطاقـــة جرافيتونية جذبية عالية لحفظنا عندما نتحرك بسرعة الضوء من تمـــدد الأجسام الخارجية وتقلص أجسادنا أو العكس ، ومن ثم تسارعت إيديـــا بأسرع منها حتى نصل إلى هدفنا فى الوقت المحدد ، إذا زادت أبعادنـــا المكانية والزمانية ، ونصبح مؤهلين إلى اختراق الزمن .

ـــ سأشرح لكم الآن ما معنى اختراق الزمن ؟ .. لما كـــان الكـــون يتمدد وبسرعة الضوء .. وأنت وفى أى مكان فيه تتمدد بنفس الســـوعة إذن سترى الضوء ضوءا والكواكب كذلك وكل المسميات والموجودات علي حالها كما تراها الآن .. ثم نفترض أنك تسير علي سطح كوكبـــك بسرعة عادية بطيئة .. أيضاً لن يختلف الأمر كثيراً .. وســـتمر بـــك الأحداث متزامنة .. لأنك أسرعت عن الضوء قليـــلاً فســـتمر علـــى المنزل الفلانى في وقت ما .. وتمر على المنزل الذي يليه بعـــد فـــترة من الزمن فى وقت آخر ، وهنا يظهر مفعول الزمن ..

ولكن إذا تسارعت بنفس سرعة الضوء .. أى أصبح لك الضعـــف من سرعة الضوء ماذا سترى إذن ؟ .. سترى الضوء نفســـه وكأنـــه حبيبات مادية وربما تكون متماسكة على شكل أجســـام كبـــيرة صلبـــة كالكتل الصخرية ، كما ستري الطاقة الطيفية على شكل أجسام مرنـــة ، وتري أيضاً ضوءاً من نوع آخر وطبيعة أخرى .. وهكـــذا .. أنـــها فلسفة الوجود الذي نعيشه وانت فى داخله حالة من حالاته فقط .. وهذا هو جوهر الوجود وليس وصفه كما تعلمنا فى المراحل الأولـــى للعلـــم

على سطح الأرض .. فالعلم الوصفى لن يصل بك لشئ أو معرفه شـئ لأنه يصف الظواهر ويتعامل معها بشكل سطحى .

ثم قاطعني هولارز بسؤال فيه ذكاء :

ـــ ماذا تمثل هذه الكتل الصخرية المتباعدة عنا فى هذا الفضـــاء أو الفراغ بين المجرات ؟ .. ثم هل المجرات متصلة ببعضها البعض ؟

ـــ كلا .. إنها كمات مغناطيسية كالتي قابلناها فى مجرة التبانــــة ، وأغلب ظني أنها نشأت مع الإنفجار العظيم .. فحينما تسارعت إيديــــا بأسرع من الضوء قليلاً .. أصبحنا نزيد عن ضعفى سرعة الضـوء .. وأنت تعرف أن التضاعف هذا جاء من أين .. لذلك نرى هذه الكمـــات ككتل صخرية سابحة فى هذا الفراغ ، ولكنها وهمية .

وحينما تخترق الزمن ينسلخ العقل الباطن معلناً الحقـــائق ، بينمـــا يضمر العقل الظاهر ويتحول الجسد إلى حبيبات ضوئيـــة متماســكة ، تسمى بالفوتونات وهى رقراقة مترابطة فى حزم غير ماديـــــة ، كمـــا تبقى الصورة الجسدية كما هى بشكل طيفى لا تتغير معها الملامح مثـل أطياف قوس قزح لا تستطيع لمسها ، وإنما تراها فقط وهى محتفظــــة بالتوزيع اللونى دون تشتت ، كما يمكن الإحتفاظ بكامل الهيئة فـــى أى صورة وفى أى حجم وأنت تخترق الأشياء المادية وغير المادية الغـــير مستقطبة ، والمستقطبة أيضاً ، فأنت تختلف عن الضوء ، فهو مســـير بينما أنت مخير ولك إرادة ، تستطيع بها أن تفعل ما تشاء .

ونحن في حديثنا هذا دخلت مركبتنا السوبر نوفا ، أقدم المجـــرات منذ فجر الكون وهى مشتتة الأبعاد تبدو من البعيد كفقاعة غاز مختلفـــة الكثافة ، كان البعض يحسبها نجم هائل ، فهناك بقع مكتظـــة بـــالنجوم والكواكب ، وأخرى تكاد تكون منعدمة ، إنها عامرة بـكائنات مختلفـــة

الأشكال والأطوار ، ثم إنها متطورة جداً علمياً وسلوكياً وكــل شــئ ، وهذا بفضل المخلوقات عليها ونظراً لفرص الحياة المتوفرة فيها منـــذ القدم ، ويعتبرون المجرة بكاملها وطناً أهم وليس كوكب ما بعينــه ، أو بقعة عليه ، فهى الوطن وهى الأم .

الشاشة الألكترونية تؤكد أننا دخلناها فعلاً بدون مشــاكل تذكــر ، فقد كانت هذه الكمات المغناطيسية تلاحقنا ونحن نجوب هــذا الفضــاء السرمدى ، ولكن كنا نتفاداها بحنكة ، ولما تفوقنا على سرعة الضــوء تلاشى تأثير هذه الكمات نهائياً ، حتى إذا ما اصطدمنا بإحداها كــانت تنفجر كما لو كانت فقاعة مطاطية مليئة بالغاز .

نقترب الآن من كوكب لست أدرى ما هو ولكننا نجتــذب نحــوه بقوة خارجه عن إرادتنا وكأننا تحت سيطرته ، تحاول إيديا والجميــع أن يتمكنوا من آلات التوجيه لنخرج عن مداره ، ولكن دون جــدوى ، لقد خضعنا بكامل قوتنا لكامل سيطرته .

حرارة المركبة تزداد فى الإرتفاع ، لتصل إلى ملايين الدرجـات ، هذا ما دلت عليه المؤشرات ، وقبل أن تعمل طاقة المركبــة بأســلوب متعاكس ، وينتج عنها أضرار نحن فى استغناء عنها ، كان لابد مــن الهبوط الفورى عليه ، فلا خيار آخر أمامنا غيره .

لم ندرى أن تحركاتنا كانت مرصودة من قبل أهل هـذا الكوكـب عندما كنا بقعة بيضاء علـى شاشـاتهم إلـى أن وصلنـا ، وهبطنـا مضطرين ، بخدعة ذكية جداً منهم ، فهم يعلمون كل شئ عنا .

استسلمنا لهذه المخلوقات الراقية ، دون عنف ظاهر وفى محاولـة فاشلة من آفرون لإستخدام سلاحه ، وقد صوبه فعلاً ، وعندما ضغـط بأصبعه الغليظ إكتشف أنه لا يعمل لذا فليس أمامنا خيار آخـر غـير الإستسلام ، وتسليمهم أسلحتنا ، ونحن نكبل بالأغلال الإشـعاعية دون إرادتنا خوفاً من أي عنف يصدر منا .

ثم إقتادونا فى سيارات ذات تقنية أعلى من مركبتنا التـى عبرنـا بها إلى مجرتهم .. جابت السيارة شوراع واسعة من الزجاج المتصلـد بلون قرمزى ، وعلى جانبيها منازل من نفس مادة الشـارع وبـألوان فاتحة ، كما أن مادة الزجاج مستقطبة للضوء والآشعة ، إنها ذات نسق هندسى فائق الجمال ، والحدائق الغناء تحيط بكل شئ ، ويدهشك نظـام ريها ، فالكوكب لايحتوى الماء ، إنما عناصره الأساسـية متوفـرة ، ولذلك فإن شبكات التفاعل الألكترونية منتشرة بين النبـات ، لصناعـة الماء والمكونات الأساسية للغذاء .

لم توضح المحطة الفضائية على الأرض ، إننا سنصل إلى هـذا الكوكب أو إلى غيره فلست أدرى هل هذه الرحلة بكاملها كانت تحـت سيطرته ؟

أو عندما فقدنا الشعاع الليزرى ، إتصلت القاعدة به حتى يخضعـنى للتوجه إليه بهدف المساعدة ؟

ليست لدينا أيه معلومات كافية عن هذا الموضوع .

وصلنا إلى المركز الطبى الذي لا يقل تقنية عما كنـا فيـه علـى جيتانو ، ولكنه لا يحتوى على غرف لحفظ الجثث ، فهم يلقون بموتاهم هناك ، فجيتانو داراً للمقابر ، وذلك خوفاً على كوكبهم ومجرتهم مـن الجراثيم والفيروسات الناتجة من تحلل هذه الجثث لتفتك بهم ، أو خوفاً من ظهورها بإسلوب أو بآخر ، فى جيناتـهم الوراثيـة ، لـذا فـهم يحتفظون بعينات منها فقط ومن جميع الرتب الخلقية للدراسة .

مكثنا فترة قليلة بالمركز الطبى لقتل كل ما نحملـه مـن جراثيـم وفيروسات كونية ، بينما كانت مركبتنا ترش بالمطـهرات الإشـعاعية حتى خيل إلينا إنها تباد ، ثم انتقلنا إلى منزل أعد خصيصاً لنـا وقـد حلت أغلالنا .

نحن الآن ضيوف المدينة ، ونعامل كأهلها ، إستبد بى القلق لـهذا التعامل المتردد ، الذى يغلب عليه اللطف والترحاب ، ثم دخل كل منـا إلى غرفته للراحة وتناول الغذاء ، فقد كان الغـذاء كبسـولات طاقـة مصنعة من النباتات الخالصة ، ذات طعم مستساغ ، ولا ينتـج عنـها نفايا ، وتمد الجسد بالطاقة والأوكسوجين ، إلتهمت منها الكثير رحـت بعدها فى ثبات عميق ، وأظن أن جميع الرفاق كذلك .

مرت فترة لم أدرى كم طالت ، إستيقظت بعدها على صوت إيديـا وهى تنادينى بصوت خافت حتى لا تزعج الآخرين ، وتنقر الباب نقـواً خفيفاً فتحت لها ودخلت وهى تلاحقنى بنظرات يشوبها الخوف وأشـياء أخرى ، لم أفهمها فى حينها ، ثم سألتنى :

ـــ ما هو مصيرنا ؟

ـــ لست أدرى يا إيديا ..

ودار حديث بيننا اعتراه الخوف منهم ، ومن تصرفهم بمصـــادرة المركبة وتجريدنا من أسلحتنا ، ثم معاملة بلطف وكرم بالغ ، وهــذا لا يحدث إلا عندما تقع فى يدك فريسة فتهدئ من روعها ثم تنقض عليــها ، ونحن للآن لا نعلم نواياهم .

وصل آفرون ليطمئن علينا ثم تلاه هيـــبرون وهـــولارز ، ولمـــا وجدت أن إيفانيوس ليس بيننا فقلت لآفرون :

ـــ إذهب يا آفرون إلى إيفانيوس وأوقظه .

وبعد قليل حضر آفرون ومعه إيفانيوس وأخذنا نفكر بعقل واحـــد عما سنفعله ؟ .

لقد باتوا بالنسبة لنا كاللغز المحير ، إنهم لم يفصحوا لنا إلـــى الآن عن شئ .. هل نحن أسرى وسيستخدمونا بعد أن يمزقونا إربــــاً فـــى أبحاثهم كفئران تجارب ؟ .. أم لهم أغراض أخـــرى ولا نعرفـــها ؟ .. لقد طال بنا الوقت ، والمهمة صعبة ، وجيان يحتضر .

مر وقت ليس بالقصير ، ثم جاءت سيارة إلى المنزل الذي نقطنـــه ونزل منها شخص له سحنة بلاستيكية أو هـــى شـــمعية شـــبه شـــفافة ويرتدى ملابس من نسيج كيتونى قشرى ومفضـــــض بـــألوان مائعـــة وجميلة ، وبوجهه نتوء أنفى ضامر ، تحت عينـــان غائرتـــان ، وفـــم صغير ، وله رأس كبير نسبياً وشبه مخروطى رأسه لأسفل ، بـــأذنين كبيرتين على شكل مثلث ، وليست للسمع فقط وإنما لأغراض أخـــرى لا نعلمها .

طلب منا السائق أن نرافقه إلى حيث ينتظرنا كبـــير القضـــاه (أو الحاكم عندهم) ، لم نعترض ، فمنذ هبوطنا الإضطرارى ، ونحـــن لا حيلة لنا ، ثم نقلنا بالسيارة إلى قاعة كبيرة فى قصـــر منيـــف ، هـــى مركز الحكم تقريباً ، لقد كانت تحتوى على شاشات وعقول إلكترونيـــة وأجهزة تحكم مرئية وأخرى غير مرئية ، تتيه فى تقنياتها العقول فـــهى مركز التحكم الكونى الشامل ، وفيها سنعرف سبب هذا الهبوط علــــى سطح هذا الكوكب .

جلسنا فى حلقة مستديرة حول الحاكم .. وأدهشنى أنه تخلى عـــن لغته .. وتكلم معنا بلغتنا ثم جاوب على كل إستفسار وأزاح كـــل شـــك كان يساورنا والآن ـــ الآن فقط عسعس الغم عنا ، وأثلجت صدورنــــا وألفناهم ، وأصبحوا يعاملوننا كوفود رسمية على مستوى عالى ، لابـــد وأن تحظى بأجلّ التكريم ، ولذا فإنهم حينما علموا برحلتنا من بدايتـــها عندما كنا على سطح الأرض ، وعلى وجه التحديد ، عندما أتصلـــت بهم القاعدة وأخبرتهم أننا المسؤلون عن جلب مضـــاد الجرافيتـــون ، وسيلحق بنا فريق طبى من عندهم لإجراء الجراحـــة لجيـــان ، لذلـــك رصدوا تحركنا وأخضعونا لكامل سيطرتهم .

أما مركبتنا فقد أودعت متحفاً للآثار والتراث بعد تعقيمـــها ، ثـــم قاموا بتجهيز واحدة أخرى على أحدث ما جاءت به التقنيـــة عندهـــم ، وتصلح لأن تخترق الثقب الأسود ، وتعود منه ، كل ذلـــك تـــم أثنـــاء سفرنا من جيتانوا ، حتى وصلنا إليهم وهنا ساورنى قلق زائل ماذا لـــو اخترقنا الثقب بمركبتنا القديمة ؟

الله وحدة أعلم .. لقد أخبرونا أيضاً أننا سوف نغادر كوكبهم إلـــى كوكب آخر قريب يدعى بولفـــانيوس ، يختـــص بـــالنواحى التعليميـــة والتدريبية وسوف نمكث عدة مشارق ، إيديا تتدرب على قيادة المركبـــة

الجديدة ، وأجهزة التحكم فيها ، وأنا علـــى أجـــهزة الإتصـــالات بـــها والنواحى الهندسية ، بينما هيبرون يتدرب على اقتناص الجرافيتونـــات المضادة منه .

اليوم هنا يبدأ بإشراق النجم زافيوس حتى أفوله كأى يوم علـــى أى كوكب وبحدثى وفطرتى أدركت أنهم يكنون شيئاً ليس بالشـــــر ولكـــنْ سيعلنونه فى حينه.

المخلوقات هنا ليس لها أسماء وإنما أرقام يمكـــن تحويلـــها إلـــى حروف وأسماء ، فالأرقام عندهم سهلة التعامل والتداول بدون مشـــاكل فهى حجمية متعددة الأبعاد حسب الحاجة ، وتتبع قوانين للتحويل مـــن نظام إلى آخر ، ويستطيعون تطويعها لعمل أى شئ ، فـــهى حواريـــة غير مجزأة ولكنها متعددة القوالب .

الحياة رتيبة ، ومقننة ، تبهرك بالوداعة وحسن التنظيم والســـلوك الراقى الذى اتسم به أهل الكوكب ، لا حقد ولا غل ولا أطماع ، وهـــذا هو قمة التطور فعلاً ، مثل هذه الأجناس لا تحوى صراعات مـــن أى نوع بينها ولا تكن شراً ، لذا هى فى القمة علماً ورخاءً وعدلاً ، حيـث لا يكون الشر من مخلوقات بدائية متخلفة وهذا أول مـــا تعلمنـــاه مـــن حضارتهم ، ألا وهو أن قمة التطور هو قمة العدل .

مخلوقات الكواكب هنا تؤمن بالتكامل ، لأن لكل منهم تخصصـــــه المتفرد فيه حسب ثرواته ، ثم أن التبادلية المنفعية بينهم علـــى أعلـــى مستوى ، وكأن الكوكب الواحد منتج لكل شئ ، فهذا مختص بالزراعـة وآخر فى الصناعة وذلك للطب ، وذلك للتعليم والتدريب وهكذا ، كمـــا أن سبل الإتصالات والمواصلات على أعلى تقنيـــة ، حيــث تســتطيع

بسيارتك التى تجوب بها الشوارع ، أن تلاحق بها الكواكب والمجـرات حقاً إنها مجرة متطورة بمخلوقات أرقى .

والمخلوقات هنا تغلب عليها الهيئة البشرية ، بـأطوال متباينـة ، ونحن بينهم متوسطى الطول ، منهم ما هو مشع ذو لون ثلجى وعينـان ضامرتان ، يعلو رأسهم شعر أبيض أشيب ، وهم سكان لكواكب تتبـع نجوم نيترونية ، ومنهم ذوى اللون البنى الداكن ، تتبع كواكبهم نجومـاً عادية مثل شمسنا ، وتتدرج الألوان بين الثلجى والبنى حسب البعـد أو القرب من النجم ونوعه .

والمخلوقات أصناف فمنهم الذى يتدعم جسده بـالعظم ، ومنـهم الرخوى ، وهناك أصناف أخرى إشاعية ، وأغلب ظنى أنهم من سـكان الكواكب القريبة جداً من النجوم النيترونية ، أو الثقوب السوداء .

ومن العجيب أنى فى رحلتى تلك ، قد علمت بنجـوم ذات وقـود ليس من الهيدروجين ، أو الهليوم ، لكنها عبارة عـن كميـات طاقـة ضوئية ليست من الضوء الذى نعرفه ، فهو ضوء بارد غير مرئـى ، يؤثر على أجهزة الاتصالات بأزيز تطن له الأذن ، ولها أفـلاك ذات سلوك قوى خاصة تعمل على ترابط مكونات المجـرة أثنـاء التمـدد الكونى ، ويقال عنها أنها روابط المادة .

عندما فرغنا من الإجتماع بقصر الحاكم ، استقلينا السيارة بنفـس السائق أنا وإيديا وهولارز ، متجهين إلى كوكب بولفانيوس القريب منـا بالسوبر نوفا والمختص بالتعليم والتدريب ويطلقـون عليـه بـالكوكب الأكاديمى .

المخلوقات هنا ذات رأس كبيرة الحجم نسبياً ومفرطحة من السطح ، وكأن بكل منها مستودع للمعلومات ، ولديهم مقدرة عاليه لنقلها وترتيبها وشرحها بأسلوب شيق ، كأنهم خلقوا فقط لهذة المهمة .

استقبلونا بشكل رسمى وأودعونا قاعات منفردة ، لا تصلح لأكثر من فرد ، ومجهزة بشاشة إتصالات وآلات تحكم كنا نتلقى من خلالها الدروس ، ثم ننام فيها ، وهى فى مكونها جميعاً فصل دراسى فـودى ، مما جعلنى لا أعلم من يدرس معى أو ماذا يدرس .

تبدأ الدراسة منذ مشرق النجم حتى جزء قليل من الليل ، تتخللها فترات من الراحة كنت أنا وإيديا نختلسها للزيارة والإجابة على بعض التساؤلات التى تطرأ علينا من حين لآخر ، أما هولارز إنعكف تماماً للدراسة البحتة فقط ، فهى علوم قلما يحصل عليها .

مرت الأيام الثلاث بلغة أرضنا ، لم نذق طعم النوم خلالها ، لمشقة التدريب ، ودراسة أحدث ما وصل إليه علمهم ، فكنت أنا وإيديا نقضى الساعات الطويلة لنهم المعلومات وإستيعاب التقنية ، ومن جانب آخر إلتهام الكثير من كبسولاتهم الغذائية ، ونظراً لهذا التقارب بينى وبينها فقد إشتعل فتيل الحب ، وبدأ كل منا ينظر للآخر بأسلوب مختلف عن أسلوب الصداقة والزمالة ، السابقة على كوكب الأرض ، كما أن للوحدة سحر خاص لممارسة الحب ، ومع هذا الحب زادت شهيتى .

ومن حين لآخر كنا نخرج لممارسة الرياضة والإستمتاع فى الحدائق القريبة ، مما أثار حب استطلاع أهل الكوكب المضيف نحونا ومن شدة وطول إستمتاعهم بحياتهم الرغدة ، فإنهم فقدوا الإحساس بالمتعة التي نمارسها نحن ، وذلك لعدم وجود النقيض في حياتهم ،

فبدأو يشعروا به من خلال سلوكياتنا ، فكـــانوا يطاردونـــا بنظراتـــهم الهادئة ، ويتعلمون منا هذا الإستمتاع بالحب ، الأمـــر الـــذى جعلنـــى أكتشف أننا متقدمون جداً فيه .

رجعنا بنفس السيارة مع نفس السائق إلى كوكب زافيـــوس مـــرة أخرى وقد إنضم إلينا هولارز ، ورأس كل منا قد تفرطحـــت ، ومـــن فرط تفرطحها تشققت واعتراها صداع مزمن وقاسى ، حقاً أن العلـــم عميق ، ولكن ليس بعمق الكون .

ثم حانت اللحظة الجاسمة التى سننطلق عندها للثقـــب الأســـود ، الحشود كثيرة من مختلـــف الأعمـــار والألـــوان ، جـــاءوا مودعيـــن ومستطلعين ، بإبتسامات وقبلات أحياناً عارمة وأحياناً فاترة ، إعتلينـــا المركبة وتسمرت أقدامنا لرد التحية وقلوبنا تخفق بقـــوة ، والأصدقـــاء على المركبة الأخرى التى سترافقنا إلى الثقب للمســـاعدة ، يلوحـــون لأسرهم ويمطروهم بالقبلات ، دخلنا وغلقت الأبواب وجلسنا بمقاعدنـــا وأحكمنا رباطها ، وفى أقل من لمح البصر كان الكوكب الـــذى أقلعنـــا منه ، أصبح نقطة مضيئة فى سماء المجرة الدجية .

تلك المجرة التى كنا نراها عشوائية التكوين ، وهى مترامية إلـــى البعيد السحيق ..

لم أدرى هل هى فى مركز الكون ؟

أم هى فى أطرافه ؟

كل الذى أعرفه أنها قديمة قدم الزمان ، نشأت فى داخلـــها أقـــدم وأعظم الحضارات ، كما تضم كل أنواع النجوم المرئية وغير المرئيـــة ومخلوقات مفكرة وغير مفكرة .

كنا ونحن نجوب هذه النجوم نرى بتلسكوباتنا أدق التفاصيل .. لأشياء أستطيع وصفها وأخرى تفوق الوصف ، ولا تخدمنى اللغة فى تصويرها ، فاللغة من صنعنا ، وهى محدودة المعانى بالرغم من تقدمنا العلمى ، أما الكون فليس من صنعنا ولذلك فهو ملئ بالأسرار التى لم تكتشف بعد .

لذا قررت بعد الأنتهاء من هذه الرحلة ، إن قدر لنا أن أزور كوكباً غريبا فى منظره ومخلوقاته ، وقد أدهشنى خضرته ، وهو المسئول عن الزراعة والتمويل الغذائى لمجموعة من الكواكب المجاورة .. ياله من كوكب بديع .

كان أغلب ظنى أن الثقب الأسود كالكهف المهجور لخطورته ، تأبى حتى الشهب والنيازك أن تقترب منه فهو يجذب إليه كل شئ ، حتى الضوء الصادر منه يعود إليه ثانية بالجذب ، فيبدو للناظر إليه من البعيد أسوداً قاتماً و له حزام أمن كرى يقع على بعد مليون سنة ضوئية من المركز الذى يقع فيه وهو بحجم البرتقالة ، يزيد عن ذلك أو يقل حسب نوع الثقب .

من الذى يملك القدرة والجسارة حتى أن يقترب منه ؟

فله أعاصير ورياح مغناطيسية وإشعاع بلفح ذرى لا تستطع أى تقنية كانت أن تتفاداها ، والثقب الذى نحن بصدده مشهور جداً بالمجرة كما يمكن رصده من أى مكان بالكون .

وصلنا بالقرب من الحزام الأمنى للثقب ، ويا لعجب العجاب ، إنه مزاراً سياحياً لأطباق ومركبات فضائية على إختلاف تقنياتها ، كما تستطيع أن ترى جميع أنواع مخلوقات هذه المجرة بكل أشكالهم وصورهم .

وترى أيضاً مخلوقات من مجرات أخرى قريبة غير السوبر نوفا وهم يحومون بمركباتهم كأسراب الطيور ، التي تحلق مجتمعة أو متفرقة ، دون أن تخترق الحزام الأمنى ، ومن الغريب أن الثقب يمثل متعا للسباقات الشبابية والمغامرات ، وعكس كل ظنوننا عنه ، وبدد خوفنا منه حقاً أنه ثقب وديع ، ولكن ..!

كنا ونحن حول الثقب الأسود لانجرؤ أن ننظر إلى داخلـه رغـم التحصينات البالغة والتقنية العالية للمركبة ، خوفاً من إجتذابه للأشـعة البصرية ، والإصابة بالعمى ، أو جذبه للشخص نفسـه إلـى داخلـه فجرافيتونات الجذب الهاربة منه ، التى هى مثـل حبيبـات الضـوء ، لطيفة كما لا تشعر بها ، وهى تتساقط على جسدك ، ولذلـك ينجـذب الشخص إلى عمق الثقب دون أن يشعر بهذا الجذب .

كنا دائمى الاتصال بالمركبة المرافقة ، فلدينا أوامر أنه فى الوقـت المحدد ، سوف يخرج إيفانيوس بعد أن يرتدى لباساً خاصـاً ويتلقـى منهم بمساعدة أزرعة إشعاعية ، بللورة ماسية هرميـة الشـكل تبـث وميضاً تستدل به المركبة الأخرى علينا إذا ما فقدنـا ، كمـا أن لـها خاصية أخرى أساسية وهى قنص مضاد الجرافيتونات ، وذلـك هـو الأهم ، ولعلك تسأل كما سألت نفسي ..

لماذا لم نزود بها ونحن على سطح كوكبهم ؟

البلورة من النوع النادر ، كما أن الوقت لم يتسع لتخزيـن جميـع المعلومات بها قبل الإقلاع ، فتركت بمركبـة الأصدقـاء لاسـتكمال التخزين ، سبب مقبول إلى حد ما ، كـان مـن الممكـن أن توضـع بمركبتنا وتزود بالمعلومات الناقصة .. دون تعريض أحدنا للمخـاطر ولكنه الحرص .

عموماً بدأت أدرك مدى أهميتنا لدي أهـل كوكـب زافيـوس ، وحجم المهمة التى كلفنا بها .

الأفكار التى تراودنى عن هؤلاء القوم لاتنقطع أبداً .. بل تـــزداد مما يجعلنى شارد الذهن أحياناً حتى ونحن بالقرب من الثقب .. وقـــد شدت انتباهي إيديا بقولها :

ــ فيم شرودك هذا يا آدوم ؟ .. أوه إنك فى عالم آخر !

ــ أبداً يا إيديا .. هؤلاء المخلوقات تحيرنى ســـلوكياتها .. لمـــاذا يلحون علينا أن نمكث معهم بعد إتمام الرحلة وعلاج جيان ؟

فقال آفرون :

ــ لاحظت أنهم يكتمون شيئاً هاماً .. ما هو ؟ .. لست أدرى .

وبخوف قالت إيديا :

ــ ترى هل أصاب الأرض مكروه ؟

فقلت متهكماً :

ــ بالرغم أننا الآن فى حالة إختراق للزمن .. لكننا سنعلم الحقيقـــة يوماً ما أي بعد أن تمضى فترة من الزمن .

وقالت إيديا ساخرة :

ــ يا للعقل البشرى ومتناقضاته .

وخرج إيفانيوس وتلقى البللورة ثم ثبتها فى مكـــان محـــدد علـــى سطح المركبة بإحكام ، وحينما فرغ من عمله وبدأ فى دخول المركبـــة فإذا بإعصار حلزونى ضخم شديد التوهج والبرم لم نتمكن من رصـــده لسرعته الفائقة ، أخذ يضرب المركبة ويبتلعها كمـــا ابتلـــع أخريـــات

غيرها ، إلى حيث لا ندري .. كنا على أثره نتخبط بجدران المركبة ، نقع أحياناً ونلتصق بها أحياناً أخرى ولا نستطيع السيطرة على أنفسنا ثم ارتفعت درجة الحرارة داخلها ووصلت إلى حد لا يحتمل كما زاد الضغط الإشعاعى ، ولما كنا فى حالة إشعاعية ، لم ندرى حينها هل هى حرارة المركبة ، أم حرارة الثقب ، أم حرارتنا نحن ؟ .

انتبهت فجأه إلى إيفانيوس فلم أجده ، إنه بالخارج ..

أية خارج !

إننا داخل الثقب ، وظللت أنادى :

ـــ إيفانيوس .. إيفانيوس .

لم أسمعه ، ولن أعد أسمعه ، ولن يسمعني ، لقد ضاع منّا إلى الأبد ، لم نك نفتأ به ونحن نجتذب إلى الداخل بقدرة اللازمن ، كنا نتضاءل ونتضاءل حتي تلاشى الحجم ولم تعد مقاييسنا ترصده .. وهذه المرة حقيقية وليست من خيالات جيتانو ..

وبعد فترة غير مقيسة بالزمن الذى اعتدناه هدأ الحال ، واستقر كل شئ حتى المركبة لم ندرى على أى شئ استقرت ؟ .

صاح هولارز :

ـــ إنه الكون المضاد .. إنه النقيض .

ونحن فى ذهول .. والكارثة أن المركبة لا تعمل ، ونحن برمتنا تحت سيطرة خارجة عن إرادتنا ولا نعلمها ، ولا يفهم أى منا الآخر ، ولا نفهم حتى أنفسنا ، فنحن فى اتجاه مقابل للزمن ، كل شئ هنا

عكسى ، العقل الظاهر وجميع الحواس توقفت كأنها جماد غير صـــالح للعمل بهذا الإسلوب العكسى .

لذلك تخلف الفكر المكنون في العقل الظاهر لفهم وتداول المعـــانى حيث أنها تمثل العلاقات السلوكية التى يعمل بها ذلك العقل الظـــاهر ، وهى متزامنة لأنها مقرونة بالأحداث ، ونظراً لأننا فى اللازمن ، لـــذا إنفجر هذا العقل من كل الأحداث الشمولية التى واجهته .. من المـــهد إلى اللحد ، ومن الموت حتى البعث ، ومن لحظة الإنفجار العظيم حتى فناء الكون وعودته إلى مفردة قبل إنفجـــاره ، إنـــها آنيـــة الأحـــداث المجتمعة .

خرجنا من حياة الزمن والوجود المـــادى المـــتزامن حتـــى فـــى استحضار المعنى ، وتحرر العقل الباطن من كل قيوده ، وطفـــا علـــى الساحة يتعامل ويقارن ويستنبط ، لذا فهو يدرك الآن كـــل اللامعقـــول حيث لا يوجد زمن ، وكأننا فى حلم لا هو بالوردى ولا هو بالكابوس

لم يعد لأجسادنا بأجهزتها الحياتية وجود وقد كانت سجناً لفكرنـــا الباطن ، المؤهل لهذا النوع من الحياة ، التـــي تســـتقبل وتســـتعرض الأحداث من خلال اللازمن ، فطفق العلم متشحاً بالجهل ، لانســـتطيع بواسطته تفسير أبسط الأشياء التى تصادفنا وكل منا ذائقـــها ألا وهـــى الموت ، الذى نجد فيه الإجابة لكل التساؤلات الغريبة عن أى حديـــث ميتافيزيقى ، كما نجد فيه التفسير الحقيقى للقبل والآن والبعد .

ثم لم يعد للتساؤل مكان عندى ، فالزمن كان يخفي عنى المـــاضي وأنا أتساءل عن أشياء فيه ، وأعيش اللحظة فقط فى الحاضر وليس كل الحاضر وإنما مع مرور الزمن أعرف ما يخفى معرفته منه ، ويحجـب

عنى المستقبل الذى أتساءل عن أشياء أيضاً فيـــه ، هـــذا مـــا يفعلـــه الروتين الزمنى إذن ..

فهل نحن موتي ؟

كلا ...

نحن نعيش بعض الموت وليس كل الموت .

هنا فى الكون المضاد تستطيع أن ترى قوافل المخلوقـــات بكـــل أنواعها وعلى جوهريتها فترى الجماد أطيافاً وترى الأطياف جمـــاداً ، لأنك انتقلت من حالة إلى حالة أخرى مختلفة .

ولكي أوضح لك ذلك سأشرح حالة كائناً يعيش في مسطح كشاشة السينما مثلاً فحياته مرتبطة بهذه المساحة فقط ، ولن يستطيع أن يرانى إلا من خلال بقع نقطية تحدث من خلال تلامس أصابعى بالسطح الـذى يعيش فيه ولما كانت أطراف أصابعى منفصلـــة فســيدرك أن البقـــع الخمسة المتباعدة عندما تتحرك على سطحه تكون مرتبطة بقانون مـــا ، أما إذا انتقل إلى حالة أخرى يستطيع بها القفز خارج مساحته ويصبـــح مجسماً أى له ثلاثة أبعاد عند هذه الحالة فقط سيدرك كينونتى وهيكلـــى ويرانى بجزء من الحقيقة .. وليس كل الحقيقة .

إن الحياة فى الكون المضاد شئ آخـــر مختلـــف وخاصـــة بعـــد التصغير ، إنها حياة نقطية فالمجرات بجميع أحجامها وهيئاتها مخزونة فيه ، والثقوب السوداء الأخرى المنتشرة فى الكون هى مسخ من شـــئ واحد كما لو كنت تنسخ صورا فوتوغرافية ، أو شريطاً ممغنطاً يعمل بنظام الفيديو ولا غرابة فى ذلك ، فإن أسرار الجسم البشرى كلـــه وأى كائن كان وفى أى كون تكمن فى بقعة صغيرة حتى لا تراهـــا العيـــن

وهي الجينات الوراثية ، إذن فليس بالشئ المستبعد أن يكون سر الكون كله مخزون داخل نقطة صغيرة به .

ففى الكون المضاد لابد وأن تكون مطلق الأبعاد حتى ينعدم معك الزمن أو حتى ترى جوهرية الأشياء .

عالم الأبعاد الزمانية المكانية ، يظن البعض أنه مرهون بالوجود المادى فقط ، فها هو يلعب دوراً خطيراً فى تفسير الحياة هنا فى عالم النقيض ، ذلك العالم الذى كنا نحتار فى تفسيره بأصولنا العلمية المبنية على رباعية الأبعاد

فما هى الأبعاد إذن ؟

هب أنى قلت لك إنك من عالم ثلاثي الأبعاد ، أى بمعنى أدق لو كنت تسكن فى غرفة مكعبة ، فإن تقاطع جدارين فيها مع أرضها ، سوف يصنع ثلاث مستقيمات متعامدة عند نقطة تقاطعهم التى تقع فى أى ركن سفلى فيها هنا تستطيع أن تحدد مكانك فى الغرفة ، بواسطة البعد عن كل مستقيم من هذه المستقيمات الثلاثة ، بينما ستكون الأحداث متجمدة ، وستعيش السكون فقط دون حركة ، إذن فهذه الصورة الجمادية .

ولكن إذا أضفنا بعداً رابعاً ، وهو البعد المرتبط بالزمن ، لذلك فهو وهمى غير مدرك بالحواس ، ولكنه مؤثر ، فلابد وأن تتحرك الأحداث ، كما تتحرك أنت ، فى إتجاه واحد فقط نحو المستقبل وترى كل منها بعد زمن مستقل .

أما إذا أضفنا بعداً خامساً يكون عكس اتجاه الزمن فإنك تستطيع أن تعيش الأحداث الماضية والمستقبلية بنفس الكيفية ، وتختفى عنك

الصورة الجمادية ، وتتحول إلى الصورة الإشعاعية ، لأنك ستعايش الأحداث الشمولية أى التى تشمل الماضى والحاضر كما نحن الآن .

الحياة فى النقيض هى أن تشمل الكون ، وليس الكون هو الذى يشملك ويجب أن تعلم تماماً شمول الشئ يختلف عن صنعه فالشمول هو المعرفة أما الصنع فهو الخلق وهو ما ليس لنا إرادة فيه مهما إنتقلنا من حالة إلى أخري أكثر رقيا .

يصبح الواقع المادي فى الحياة النقطية كوقائع قصة مكتملة الأحداث ، تستطيع أن توجزها أوتحكيها كاملة فى أى وقت تشاء ، لأنك تدرك كل فقرة منها ، وكل معانيها ، حيث أنها مختزنة لديك فى قالب واحد ، وأنت المتحدث ولست المتحدث إليه ، فالمتحدث دائماً لديه الأحداث كاملة ، وموجودة فى مركز الخبرات بلا زمن ، بينما المتحدث إليه يتلقى تلك الأحداث بتزامن خاص ، ولذلك فهو يشعر بزمن بداية للحدث وزمن آخر لنهاية الحدث .

ولما كنت في حياة النقيض ، رأيت كل الأحداث والمخلوقات ، والكواكب والنجوم والمجرات عبارة عن أحداث نقطية متقلصة كما شرحت ، ومتقلص معها الزمن ،.ولذا كانت لدى استطاعة أن أدرك جوهريتها جميعاً .

ولكن أين اللغة التى تخدمنى فى الوصف .. فكل من معى لا يحتاج اللغة إلا للوصف فهو يعلم كما أعلم تماماً ولكنى أحتاج للغة من نوع خاص ، لغة شاملة وكاملة المعانى .. لغة أهل النقطية أو أهل اللازمن لأن لغة أهل الأرض لاتصلح لشرح الحياة النقطية .

ولا تغتر كثيراً فلن تعلم الغيب المطلق الذى لايعتمد على الزمن ولكنك ستتفوق لتعلم الغيب النسبي فقط ، وهو ماكان متزامناً أي

مرهون وجوده بزمن ، مهما كان كبيراً أو صغيراً ، أو ما كان مختزنا فى النقيض .

وحالة اللازمن التى تنتابنا ليس معناها عدم وجوده ، ولكنه موجود بشكل متقلص أو فى صورة عكسية ، وفى الكون المضاد تكون فقط فى الصورة العكسية للزمن ، فالكون المادى لحظة انفجاره كان بحجم القبضة الممتلئة بالنيوترونات ، وفى زمن يكاد لا يذكر أصبح فى حجم المجرة ثم أخذ يتمدد ويتمدد حتى هذه اللحظة .

النيترونات فقط هى المسموح لها أن تفلت من الثقوب السوداء حيث فيها سر أعظم لا نعلمه فهى الأطول عمراً ، كما أنها تجوب الكون دون معاناة ، لأنها متعادلة الشحنة الكهربية وتحتوى نقيضها معاً ولا تخضع لأي إنحراف ثم تعتبر من المكونات الأساسية للذرة ، أى العضو الرئيسى فى المادة ، والأجسام التى يسحبها الثقب ويصغرها تنجذب نحو كون آخر ، أو تنسحب نحو أحد هذه النيترونات لتلتصق به ، وأغلب ظنى أننا على واحد منها .

إنصرفت أنظارنا صوب البللورة وهى تصدر طنيناً وتشع ضوءاً غير عادى ، وعلى حين غرة ، غمرتنا فرحة عارمة ..

إننا فى حالة واعية ..

نحن ندرك الماديات والأشياء من حولنا ، والمركبة أصبحت تعمل من جديد ، إذن إننا لم نمت ، ولم نكن فى كون آخر ، وأمسكت بذراعى إيديا ، صارخاً :

ـ لم نمت .. لم نمت .

وكنت أهزها بقوة .. ثم خرج هولارز من المركبة بــدون وعــى لينعم بحريته ويشعر بحياته ، ويتنسم عليل الخــارج ومــا أن وطــأت قدماه سطح الكوكب الغريب .. فصرخت فيه :

ـــ هولارز .. ماذا تفعل يا هولارز.

ولم أكمل صراخى ، حتي تلاشى وتاه فى اللاوجود ، مــا أقســى هذا الخارج وعبثاً حاولنا إنقاذه ، لقد فقـــد آفــرون أحــدى ذراعيــه بالتلاشى والتآكل النيترونى مثلما حدث لجسد هولارز وهـــو ينقــذه ، فالسطح النيترونى ملئ بالجرافيتونات الجذبية وتعمل كل حبة منها كمــا لو كانت ثقباً أسودا ، ولولا أننا انتشلناه بعنف لتلاشى مثل هـــولارز ، لم يشعر آفرون بألم ، فالأجهزة الحسية لا تعمل لكنه أصبـــح معاقــاً أبدياً ، وهذه ضريبة إخلاصة ، وقفنا حداداً علـــى فقيدنـــا إيفـــانيوس وهولارز والأنفس مليئة بالأسى ، بينما الخوف يختلج فى الصدور

بدأت تغزونا الظلمة ، والنهار ينقشع شيئاً فشيئاً ، والخوف يعـــم رويداً رويداً حتى ذاب المكان فى الدجى وضاع معه الأبصار ، ظلمة ليس فيها نجوم ولا أمان ، فإستسلامنا لمصيرنـــا ، وتقوقعنـــا داخـــل مركبتنا .

ولأنها محملة بالجرافيتونات المضـــادة لتلاشـــينا مثـــل هـــولارز فكوكبنا شرس ولا يعرف هوادة تماماً مثل الخوف .

نحن لا نصنع أقدارنا ، ولا نجرؤ أن نتحكـــم فيـــها ، بـــل هـــى المسيطرة ، كما أننا لا نملك أن نحيى أو نميت ، بـــل نحيـــا ونمـــوت بقدرة تفوق قدرات الخلق جميعاً .

رغم أن الموت هو إنتقال من وجود إلى وجود آخـــر ، فوجـــوده ليس بعالم النقيض أو عالم مصغر أو مكبر ، وليس بالعالم العكســـى ، ليس بالضرورة أن تكون مادة الخلقة فيه هي مادتنا ، وليس الزمان فيه كزماننا ، وإن كنا قد إخترقنا الواقع إلى كون مضاد أو عشنا وعلى أى حجم داخل كوننا ، فلا يدل ذلك على أننا إمتلكنا القدرة على أن نخـترق الموت ونخرج أي وقت نشاء ، فهى موجودات على ساحة هذا الوجـود الفسيح .

أما الموت فله وجود آخر غير النقيض وغير المادى ، كما لم تقـم عليه أبحاث ، ولن تقم عليه أبحاث ، أما الوجود فله أبحاثـــه وتقنياتـــه التى تسمح بالانتقال خلاله والأستفادة من ثرواته .

إستمرت الظلمة فترة ليست بالقصيرة لم نســطع أن نـــرى حتـــى أطرافنا ، وإذا بضوء .. من شدة وهجه عميت معـــه عيوننـــا أيضـــاً وكأننا لم نخرج من الظلمة .

النور والظلام هما نقيضين ..

فهل تستطيع أن تفسر ما الفرق بينهما ؟ ..

سنقول وبإسلوب بسيط أن هذا نرى فيه الأشياء وذلك تنعدم فـــــى وجوده الرؤيا .. وإذا عدنا الى طائر الخفاش مثلا فهو لا يرى بعينيـــه فماذا يمثل له النور والظلام ؟

قد يمثل السخونة والبرودة ، أو أى نقيضين من نوع آخر .

إذن الحالات التى توجد عليها الخلائق هى أوضاع نسبية تختلـــف فيها التفسيرات حول شئ واحد .

الإحساس البشرى بنقيضى الإبصـــار ، وهمـــا الضـــوء الشـــديد والظلمة الحالكة متساو ، ففيهما لن ترى شيئا ، وهذا دليل واضح على أن التكوين البشرى يحتاج دائماً للحياة الوسط ، حتـــى تعمـــل جميـــع الأحاسيس والحواس بمنظومة متكاملة .

إن الضوء الذى سقط علينا فجأة وكان له أزيـــز يصـــم الآذان ، حيث دام للحظة والحمد لله ، ثم إنقشع عنا وهدأ أزيزه .

وأخذنا نفرك أعيننا ونبتلع لعابنا ، لنرى الحاكم وبعض المســتقبلين والأصدقاء الذين رافقونا في المركبة الأخرى أمامنا ، والمكـــان الـــذي هبطنا فيه هو المركز العلمى على كوكب زافيوس ، أما مـــاذا حـــدث خلال هذه الرحلة ؟ فالله أعلم ..

الحياة على زافيوس

استيقظت من نومى فى أول إشراق لي علـــى زافيــوس بنشـــاط وحيوية افتقدتها فترة طويلة ، طالعت من النافذة فوجـــدت آفــرون ذو الزراع الواحدة يمارس تمارينه الرياضية كالمعتـــاد بيــن الحدائــق ، وبمحاولة غير فاشلة منى قررت أن أذهب إلى غرفة إيديا ، فالعلاقــات النسائية لا تحتل المرتبة الأولى عندى ، لعفـــة ، أو لســلوك تربــوى نشأت عليه فى الصغر .. لست أدرى ؟ ولكنى أحبها ، ثم طرقت بابــها ففتحت .. كم هى تزداد جمالاً وزهواً كالإشراق .. وبصــوت هــامس قلت لها :

ـــ عمت صباحاً يا إيديا .

فردت بصوت حزين :

ـــ شكراً .

ـــ كيف حالك الآن ؟

ـــ حسناً .

ودار حديث الصمت تتخلله بعض الكلمات العذبة ونحـــن نطـــالع خارج النافذة ، يلمحنا آفرون ملوحاً بزراعه الباقية يدعونـــا لممارســـة الرياضة معه ، الشئ الذى زاد من أسفنا ، فلبينـــا نـــداءه ، وجرينـــا ، والزهر يلقى بعبيره حولنا.

كنت أحافظ على جوار إيديا ، لذا غمرتها سعادة وإبتسامة هادئـــة كأنى إنتزعت حزنها ، عندما هامستها قائلاً :

ـ أنتى كالزهر لا يحتاج أن يشرح للناس جماله وعبيره .

فأمسكت بيدى ، وقبضت عليها بشدة ، وهذا أبلغ تعبير .

الكلمات كانت تخرج منى كرزاز المطـــر أو كإنبعـــاث الضـــوء فتسمعنى وهى تطير جرياً كالفراشات بين الزهـــر ، تتـــهادى أحيانـــاً وتسمو أحياناً ..

ـ لقد رحلنا إلى أكوان لم تهدأ فيها شمائلنا ، وأخرى تركنا فيـــها ذكرانا ، وأكوان نمت فيها مشاعرنا ، وأخرى عز فيـــها لقيانـــا ، ثـــم إلتقينا .

كنت أغنى وهى تسمعنى بعمـــق الكـــون ، فأنتـــهزت الفرصـــة وعرضت عليها الزواج ، فقبلت ولثمتنى قبلة طال رنينها فى أعماقى ، وإنساب هوى العشق يغمر دنيانا ..

فأنا أحب وهذا جرسه ، ويوم أن غبت عن الوعى على جيتـــانو ، وقد كان أبلغ إعلان عنه .. وظللنا هكذا ليس بيننا آفرون فقد تخطانـــا بفارق كبير ، إنه رياضى عظيم .

عدنا أدراجنا إلى المنزل الذى نقطنه ، لمطالعة الأحداث بالتلفـاز ، والتلفاز هنا ممل فهو لبث البرامج التقليدية مثل نقـــل الصـــور الحيـــة للأحداث الزافيوسية أو الأحداث فى مناطق النفوذ على كواكب أخـــرى وعلمت فيما بعد ، أنه كان من الممكن أن تشاهد ثقافات الكواكب الحرة مثل الأفلام والمسلسلات ، بإختيارها من قائمة الإختيـــارات المكتظـــة بالأعمال الفنية ، فكل عمل فنى ينتج ، يخزن فى الذاكرة الألكترونيـــة الخاصة بشبكة الأتصالات الكونية لتشاهدها من أى مكان بالكون .

ومن العجيب أننى قد رأيت بعضاً من اللقطات التى تصور الحزام الأمنى للثقب وقد لفت إنتباهى أنا وإيديا ذلك ، ولكن سرعان ما قطع الإرسال ليبث برامج أخرى ، فجن جنونى ، بينما كان هيبرون يغط فى ثبات عميق ، وأخيراً عاد آفرون .. فقلت له :

ـــ أيقظ هيبرون .. فالإفطار جاهز .

إجتمعنا على مائدة واحدة لتناول الإفطار الذى كان كالعادة مزيداً من الكبسولات ، بعد ذلك جاءت السيارة الخاصة لتقلنا إلى قصر الحاكم ، وهناك سوف نعرف تقريباً جميع الأحداث التى ألمت بنا ، من لحظة أن جذبنا الثقب حتى غادرناه ، وهبط منها نفس الرجل الأنيق ذو السحنة الشمعية ، إلينا وقد أزال الكلفة ليصطحبنا معه إلى القصر .

ركبنا السيارة الفارهة وأنا ألعن تلفازهم لعدم تمكنى من إستكمال مشاهدة الأحداث الخاصة بالثقب ، ثم وصلنا .

كان الحاكم يتوسط القاعة المنيفة ، وعندما دخلنا ، رحب بنا وهنأنا على نجاح الرحلة بدبلوماسية الحكام الفاترة ، ثم بدأ أحد مستشاريه وفى حديث طويل أخذ يشرح جملة الأحداث فبعد أن إستهل كلامه بالترحيب والتهنئة قال :

ـــ عندما تم تصغيركم وأنتم تنجذبون نحو الثقب ، سقطت مركبتكم على سطح نيوترون هارب إلى خارجه بسرعة هائلة ، وكنتم بالنسبة له كالطفل على صدر أمه ، تعطلت المركبة أثناء شحنها بمضاد الجرافيتون الذى نحتاجه ، لقد اقتنصته البللورة الوميضة التى كانت من خلال وميضها ترشدنا عليكم أيضاً ، بعد ذلك التقطتكم المركبة الأخرى ، بجهاز الأسر النيترونى ، وهبطت بالمركز العلمى ليتم تكبيركم ، حيث أمددناكم بالطاقة التى فقدتموها ثم بعد ذلك خضعتم

للفحص الطبى للتأكد من خلوكم من كافة الأمراض والجراثيم الكونية ، وأنتم فى غيبوبة ظاهرية ، إستمرت معكم حتـــى أودعنـــاكم المـــنزل الخاص بكم ، وها أنتم فى كامل الصحة ، وعدتم إلى وعيكم ، فمرحبـــاً بكم مرة أخرى على زافيوس .

كان المستشار يشرح بينما الشاشة الكبـــيرة فـــى صـــدر القاعـــة تعرض الأحداث بالتفصيل ، فهذا إيفانيوس يتيه ببرقه فى الكون بينمــــا هولازر يتلاشى ، ولا أرى على وجوههم أى مسحة للحـــزن إنـــهم لا يعرفون الحزن بينما إيديا يزداد تأثرها .

ولما سقط الضوء الشديد على شكل كمات كرية ، كانت خلايانــــا تتشرب الكمات الفوتونية ، فنتضخم والمركبة أيضاً ، ثم نتشرب العديـد منها ليزداد التضخم ، بينما النيترون يظل كما هو ويظهر لنا كأنه هـــو الذى يتضائل إلى أن تلاشى وتاه عن وجودنا إلـــى الأبـــد ، وانتـــهى العرض المصور .

ثم استتبع الحديث شخص آخر كان يجلس على يســـار الحـــاكم لا تختلف نبرة صوته عن السابق فقال وهو ينبهنا بالأعمال المقبلة :

ـــ بالطبع نظراً لأهمية مريضنا الزافيوسى ، وحالته المرضية .

(فتطرق إلى ذهنى أنه شخص آخر غير جيان) ، ثم أستكمل حديثه :

ـــ لابد من الإسراع بإجراء الجراحة لجيان ، ولـــذا فـــإن رحلـــة الفريق الطبى تجهز الآن للإقلاع الفورى وسيرافقهم الدكتور هيبرون ، أما بقية الضيوف ستمكث معنا هنا للمتابعة .

يا لهم من مخلوقات منظمة تعرف ماذا تفعل ومتى ستفعل ، حتـــى إعلامنا بالأحداث كان مقنناً وموقوتاً ، من ثم قام هيبرون واصطحـــب

إلى المركز العلمى ليلحق بالفريق الطبى هناك ، وبعـــد أن وصــل ، بدأت الشاشة الكبيرة تطالعنا ببقية الأحداث ، ونحـــن مشــدودين لــها ومدهوشين بها ، كان هناك مركبتين متجاورتين ، تقبع أحدهما تحــت قبو ملئ بأجهزة ذات تقنية عالية كالتي خرجنا منها بعد عودتنــا مــن الثقب مع فارق أن قبونا هو الذى كان يسلط الضــوء علينــا ، بينمــا الأخرى كانت تمتص منهم الضوء .

ثم بدأ يخرج من المركبة الأولى ضوء نجمى كأنه يسحب منهم ثـم تتقلص بعد أن صعدها هيبرون و الفريق الطبى و إزداد تقلصهم إلــى حجم الفيروس ، ليستقر فى سائل ، داخل قنينة .

بعد ذلك جاء شخصين ، أحدهما خبير طبى ، والآخر قائد فلكـى ، أخذ الطبيب فى إغلاق القنينة بإحكام ، بينما القائد يصعد للمركبة ، ثـم بواسطة الأزرعة الميكانيكية بها ، تم حمل القنينة بمن فيــها ، فليــس بمقدور أى فرد حملها بالرغم من تقلصها إلى حجم الفــيروس لأنــها ظلت على نفس وزنها السابق الذي يصل إلى عشرون طنــاً تقريبــاً ، ولم يفقد منه شئ بالتصغير .

سحبت القنينة الصغيرة إلى داخل المركبة ، ووضعت بمكان آمــن ثم صعدوا ، وفى لمح البصر غابت عن أعيننا متجهة إلى جيتانو .

الشاشة التلفازية تنقل الأحداث من داخل المركبة الفيروسية ، ومن داخل المركبة الكبيرة أيضاً ومن كل مكان حولها ، والشاشات متعــددة وتسمح لك بمتابعة جميع الوقائع فى آن واحــد ، التصويــر يشــعرك بالحقيقة وكأنك معهم فى عمل متكامل ، وأظن أن مركبــة الأصدقــاء كانت تفعل ذلك عندما كنا بالثقب .

ستستغرق الرحلة زهاء نصف يوم فقط ، للوصول إلى جيتـــانو ، فلا تتخيل أن تعبر مجرة واحدة ، فى مثل هذا الزمن الضئيل ، حيـــث أن قطر الواحدة منها لا يقل عن عشرات الملايين من السنين الضوئيـــة وبحساب بسيط يمكنك أن تعرف هذه المسافة حيث أن الثانية الضوئيـــة الواحدة تعادل ثلاثة مائة ألف كيلو متر فما بالك بالســـنة أو الملاييـــن منها ، حتى الضوء نفسه لا يستطيع قطع هذه المسافة فى هذه المـــدة ، لو افترض أنه لن يتلاشى بعوامل الإمتصاص .

إنهم فعلاً متطورون ، فالمستشفى العجيبة ، تابعة لـــــهم كمـــا أن المريض الذى يستحق كل هذا العناء كان منهم ، والمركبة التى أهديـت إلينا وبأحدث تقنية وبهذا الذكاء الإصطناعى من صنعهم .

وصلت المركبة وحطت على أرض صلبة بالخـــارج ، وخرجـــت الأزرعة وهى تحمل القنينة ، وخرج الرجلين ، وبواسطة جهاز الشفرة تشععت القنينة و الرجلين ، فإستطاعا حملها ، ثم اخترقـــا المستشـــفى بنفس الطريقة التى اخترقناها بها ، و لكن الطبيب كان حذراً جداً وهـــو يحمل القنينة بينما نحن هنا نتناول طعـــام الغـــذاء وهـــو مزيـــد مـــن الكبسولات .

سألت عن البللورة التى رافقتنا خلال الثقب ، وعرفت أنـــها مـــع الفريق الطبى بالمركبة الفيروسية ، ثـــم دخـــل الرجـــل ذو اللمحـــات الفطرية والذكاء المتقد عند جيان القابع في مركز الهرم ، ورفع رأســـه بحذر وغرز إبرة المحقنة بعد سحب السائل من القنينة ، وفي مكان مـــا أسفل الرأس من الخلف ولمسافة محددة ، سكب السائل .

أجهزة التصوير إنتقلت إلي هيبرون والمجموعة الطبيـــة معـــه ، وهى تراقب الجرافيتون الجاذب محدثاً فوهة نقطية داخل مخ جيـــان ،

وبسرعة اتجه التصوير صوب المركبة الفيروسـية الحجـم ، وهبـط الخبير الطبي المصغر ضمن الفريق مع هيرون ، وهو يرتدى ملابـس مثل ملابس إفانيوس عندما كنا بالقرب من الثقـب ، وزرع البلـورة الحاملة لمضاد الجرافيتون في الفوهة النقطية ، ثم صعـدوا مركبتـهم مرة أخرى ، ليبتعدوا قليلاً فى تراقص عائم ، وإذا بالإبرة تسحبهم مـع بعض السائل الموجود بالجمجمة مرة ثانية ، وكم كنت أخشى من هـذا السحب أن تفلت منه تلك المركبة الفيروسية .

بدأت خلايا مخ جيان تنتفخ مرة أخرى وتملأ التجويـف ليظـهر ورم بسيط خلف الرأس بسبب بقية السائل الذى لم يسحب ، وبعد برهـة قصيرة ، تفتحت عينا جيان وهو يحرك رأسه يمينـاً ويسـاراً بتثـاقل وبطء ، فدوت القاعة هنا بتصفيق حاد .. لقد نجحت الجراحة ، وهـو الآن يتماثل للشفاء .

عند هذة اللحظة سألت نفسى :

ترى هل جيان وهو فى غيبوبته تلك رأى ما رأيته على جيتانو ؟

وهل ظهرت له آشى ؟ .

الطبيب المعالج ذو اللمحات الفطرية والذكاء العالي خرج من عنـد جيان وبسمات الأمل تنطلق مبشـرة مـن وجهـه ، وقبـل أن نـهم بالإنصراف من هنا ، بينما كان يخترق جدران المستشفى وقبـل أن يصل إلى المركبة بالخارج ، وزالت عنه الحالة الإشعاعية ، ولم يشـعر بها ، وإذا بالقنينة تهوى منه على أرض جيتانو الصلبة لتتفتت أشـلاء ، محدثة صوت إنفجار مدوى ومروع ، ويسيل محلولها بمن فيه منسـاباً خلال مسامها فأسرع الطبيب وبمحقنته حاول جاهداً أن يسـحب أكـبر قدر ممكن من السائل قبل أن يتغلغل إلى عمق أكثر داخل التربة ربمـا

يكون فيه المركبة الصغيرة ، ولكن دون فائدة ، فقد تسربت إلى أعماق صخور جيتانو .

البللورة المرشدة ليست معهم لقد تركوها في رأس جيان ، والمركز العلمى هنا يتصل بعقول المستشفى الإلكترونية ، المركبة الصغيرة لازالت خارج المحقنة ، والفريق داخلها يعانى من الإصابات الخطيرة التى لحقت بهم بينما هيبرون لا يتحرك ، لقد سقطت على رأسه كتلة فولازية ضخمة ، أردته جثة هامدة ، لقد قتل هيبرون ، ثم قطع البث من عندهم ، وهذا ما أظهرته الشاشة الإلكترونية الخاصة بالتصوير داخل مركبتهم .

إخترق الطبيب المتسبب فى الكارثة دون قصد منه المستشفى مرة أخرى ليجلب أحد أجهزة السحب ذات المدى البعيد داخل الأعماق المسامية ، وتستطيع حمل أثقالاً كبيرة ، ولكن تبلد الجميع بحس بارد لفشل جميع الجهود فقد سحبت الأجهزة عالية التقنية على سطح جيتانو كل السائل بما فيه المركبة للإعدام ، ظناً منها أنهم فيروسات وبائية ولم تأبه بالأرواح الموجودة بالداخل.

هكذا التقنية ، وهكذا العلم ، جد وجهد ورفاهية وتحكم وتمكن دون إحساس ، فالآلات ذات القدرة لم تصنع بتقنية الإحساس أوالمشاعر ، أو بالأحرى لا تخضع الأحاسيس أو المشاعر للتقنية .

إنصرفنا إلى المنزل عند دخول الليل ، وما أن آويت إلى الفراش حتى ألقيت بجثتي عليه شارداً بين اليقظة والنوم مستنداً برأسي على قبضتي يداى وهما متشابكتان تحتها تتطلع إلى سماء الغرفة المحدودة وكأن السماء تقلصت لتكون بحدود الغرفة حتى أدرك حدودى ، ويكسونى الحزن وأنا أنعى هيبرون .

كان الليل قد أرخى سدوله ، وبدأ يرشقنا بسهام الخـــوف ، لذلــك أسرعت إيديا إلى غرفتى ، ودخلت دون أن تطرق الباب ثم أغلقته مــن خلفها وهى تتقدم نحوى ببطء ، فطلبت منها إشعال التلفاز ، فرفضــت وقالت بصوت عذب ممزوج بالخوف :

ـــ أريدك وحدك .

لم تنحى عينيها عني وهى مقبله على .. لقد فجر الخوف فيها كــل قنابل الحب .. فألقت بكاملها على صدرى الآمن وهى تدس برأسها فــى كتفى ، وراحت تمطرنى بقبلات يذوب لها الحديد ، فألتفت يداى حــول ظهرها وأصابع كفاى فى أقصى إمتداد لهم تتهادى عليه ، وتمتص منه الخوف ، ثم إلتصقنا حتى لايفرق الهوى جسدانا .

ولما أقتنصنا من الوقت متعته ، إقترحت علىّ إيديـــا أن نذهــب برحلة سريعة إلى كوكب جرين للترفيه والإستمتاع بالخضرة والـترويح من الجو الحزين ، أستأذنا الحاكم الذى مهد لنا السبل لارتيـــاده ، ثــم أقلعنا دون آفرون .

الكوكب يبدو من البعيد زاهياً باللون الأخضر الداكـــن والفــاتح ، ولما ازداد قربنا منه ، بدت الأشجار العالية منسقة التوزيـــع ، وكأنـــها غابة صناعية والغريب أنى لم أجد جدولاً مائياً واحدا للرى ، كمـــا أن الكوكب لا تغلفة سحب وعندما إقتربنا أكثر ، رأيت شبكة من الشـوايين البلاستيكية المستقطبة للكهرباء الجويـــة ، مـــن خـــلال الألكترونـــات السابحة فى الغلاف الهيدروأكسوجينى المحيط للكوكب ، تعمل الشـــبكة على إجراء التفاعلات اللازمة لتكويـــن المـــاء ، وتحضـــير الغـــذاء الضرورى للإنبات ، تماماً كما فى حدائق زافيوس .

الكوكب لايسكنه إلا النبات وبعضاً من الماكينات الحـاصدة لــه ، وتحويل مكوناته إلى كبسولات كالتى نتغذى عليها ، ولما كان الكوكـب لا يؤول بملكية خاصة إلى هيئات أو مخلوقات بعينــها ، لذلــك فــهو مشاع لكل من ينهل من نبته ، دون طمع ، أو جشـــع أو حراســات ، ولكن الطمع يأتى من النباتات المتطفلة ، كالتى حول المستشفى بجيتـلنو ، استرهبنا شكله ، حتى أخافنا من الهبوط عليه ، فلسنا بحاجـــة إلــى المزيد من المخاطر ، لذلك قررنا العودة إلى زافيوس ، فالنزهة داخــل حدائقه أكثر أمناً ، ثم عدنا من حيث أتينا بينما الليل يغمـــر زافيــوس الساحر ، فليس كل مبهر آمن .

انقضى بهيم الليل بعد أن قطعنا جزءاً منه فى نوم هادئ ، حتـــى جاء الإشراق ، آفرون كعادته يمارس التمارين الرياضية كل صبــاح ، ثم توالت الإشراقات ليمر الوقت كسابقه ، وذات مرة ونحـــن نتنــاول طعام الغذاء .

لم أدر كم من إشراق مر على وجه التحديد ، قررنا العــودة إلــى أمنا الأرض ، الذى أخذ حنينها يدب فى قلبينا أنــا وإيديــا ، ويــزداد صوته ، لذلك عرضنا على آفرون أن يرافقنا العودة فرفــض بشــدة ، معللاً أنه قد وجد متاعه عندهم ، كما أنه لايريد هجر جيـــان ، فــهو المساعد الأول له ، وقد أقترب وصوله إلــى زافيــوس ، ربمــا بعــد إشراقين أو ثلاث .

وكأن القدر شاء أن أكون مع إيديا وحيدين فى رحلة عودتنا إلـــى الأرض يجمعنا الحب ويصبغنا بصبغة واحدة ، فصنع لنــا الخــوف ، وفرد كل منا للآخر ، أنه أقوى من الثقب الأسود وأقوى مـــن جيــان الذى كان علمه هو الوصول للأشياء ، أما الحب فهو تلك الأشياء .

ثكلت المركبة المهداة إلينا من أهل زافيوس ، وأستبدل التالف منها ، ثم تجهزت أنا وإيديا لنقيم عرسنا على الأرض فكم كانت تحلم بيوم الزفاف هذا وتتوعد أن يكون أسطوري لم يشهد مثله التاريخ ثانية ولسوف تتحاكى به الأجيال ، ويتغنى به كل محب .. لذا أحتشدت مشاعرنا المفعمة بالحب لنستأذن الحاكم مرة أخرى ، بالعودة إلى الوطن ، فوافق بعد إلحاح وإصرار ، على وعد بحضور عرسنا هو وبعض الأصدقاء من أهل زافيوس

ولما حانت لحظة السفر إحتشدت المخلوقات وعلى رأسهم آفرون والحاكم لوداعنا ، صعدنا المركبة والحنين إلى الوطن ينمو بالحب ، كما ينمو معه حبى لإيديا ، فقد أشتقنا لزخات المطر وطلع القمر وعبير الورد ، اشتقنا أن نلهى سوياً فى حر الصيف وقرص البرد ، قررنا أن نحيا فجراً فى كل ربوع الأرض ، كذلك كنت أشدو وأنا أصعد درج المركبة ، وإيديا معى .

ودخلنا وغلقت الأبواب علينا ، ثم أقلعنا ، وطوينا المسافات تلو المسافات ، وتركنا المجرة العشواء بمخلوقاتها راقية الرتابة والنظام ، وتركت إيديا أمور القيادة والتوجيه للعقول الإلكترونية ، ثم جذبتنى من يدى نحو أرض المركبة فتمددنا ، وتطاول زراعى ليضم جانبها الأيسر إلى جانبى الأيمن ثم أرخت رأسها على كتفى وهى ملتصقه إلى جوارى ، وكأنها تبعث برسالة إلى الأرض لتتجهز وتتجمل بأبها ما عندها ، فما كان لها أن تزف عرساً مثل عرسنا .

وتركنا للغة الصمت التعبير عن الحب الكامن فينا ، فلتسموا لغات الكون وليتوقف توقيته .. بصراحة أنا أحب .. فما أروع أن تكون

بعيداً عن كل الدنيا ومعك من تحب .. وتحب .. وما أحلى أن تجــوب ليلاً سرمدياً بين النجوم ، ولا تدرى إلى أى مكان تـــهبط ، أو تلقــى مصيرك ، فأنت تعيش الحب ، وأنا وإن طال زمانى عائد الى عاصمــة الحب .

ونحن فى سكرتنا هذه كنا قد دخلنا المجال الجذبى للشمس ، نجمنا المعطاء ، الحنون ، وهو يبدو فى الأفق البعيد بقعـــة بيضـــاء وديعــة تبعث بالحياة فينا وتفتك بالشر المحيط بنا .

وفى تباطؤ ، إقتربنا كثيراً من الأرض ، وهى مؤججــة بالزرقــة الذائبة فى بياض السحاب ، وكأنها تزينت لإســـتقبالنا ، والقمــر مــن حولها يدور ليسهر معه كل العشاق ، فى إنتظار لوصولنا ، وبــــأجمل إنحناء تخطيناه نحو الأرض

أخذنا فلكاً ثابتا وطالبتُ العقول الألكترونية لتحديد أرض الوطــن للهبوط عليها ، وبعد فترة لم أعهد تأخيرها من الأجهزة ، جائت النتائج غير متوقعة تشير إلى عدم الأستدلال .

غريبه هذا الأمر ..

البيانات التى نغذى بها العقول الإلكترونية صحيحــة .. الأرض .. خط طول كذا .. خط عرض كذا .. التقاطع السمتى كذا ..

والنتائج دائماً عدم الإستدلال ..

ما الأمر إذن ؟ ..

هل لفظتنا الأرض ؟ ..

هل هى غاضبة منا ؟ ..

أم الأجهزة تخدعنا ؟ ..

أو ربما توقفت لأمر ما ؟ ..

هل أهل زافيوس يمزحون معنا فأرادوا تضليلنا لنعود إليهم ؟ ..

العديد والعديد من الشكوك والتساؤلات ساورتنا ونحن فى حـــيرة قررنا بعد ذلك المحاولة تلو المحاولة ، والنتيجة لم تتغير .. إذن هنـــاك حدث أو خلل ما .. مؤكد أن هناك شيئاً ما .

ثم ما هذه الأجسام الضئيلة ؟! ..

إنها تطوف حول الأرض فى أفلاك ثابتة كأنها طوافات الحراســـة وعليها قطع عاكسة كالمرايا ، ها هى ترسل موجات كهرومغناطيســـية بدائية جداً جداً ، إنها تحاول أن تصنع شيئاً ذا معنى ، لقد كانت تصـــدر صفيراً كما تلهوا الأطفال ، ربما تحاول أن تحاكينا .. خافت إيديا منـــها أن تكون معادية ، فتصيبنا بأذى ، فأرسلت إليها بعضاً مــــن الآشـــعة فعطلتها وجعلتها عديمة النفع ثم قررت الـــهبوط العشـــوائى علـــى أى قطاع من الأرض .

نزلنا على لسان يابس كشبه الجزيرة ، ويقع بالطرف الشرقى مـــن متسع يابسى كبير ، يحيط به الماء من كـــل جـــانب ولا نعلمـــه ، وإذا بجمع غفير من البشر المقزم يلتف من حولنا ، ولا يستطيع الإقـــتراب أكثر من ذلك ، وهم يرتدون ملابس نسيجها من نبـــات ليفـــى بـــألوان موحدة ، وجميعهم متشابهين فى السحنة ، كأنهم نسخ واحد .. فســـألتنى إيديا بسخرية :

ـــ هل هم توائم ؟

فضحكت قائلاً :

ـــ لكثرة عددهم مثل النمل ، تتكرر الصفات الجينية أو تتقارب .

كان بصحبتهم كتل فولازية تعلوها أســـنان مدببـــة ومصقولـــة ، البعض منها متحرك والآخر كان ساكناً و متحفزاً لأمر ما ، ويخــــرج من بعضها ، كتل نارية كالألعاب وتصدم بالجدار الأمنـــى الإشـــعاعى للمركبة دون أذى يذكر ، علمنا بعد ذلك أنها تسمى دبابات وتســـتخدم في الحروب .

سلطنا على الغالبية منها بعضا من الأشعة الليزرية ، جعلتها تسيل كاللعاب وهى جمرة حمراء تضئ ، خاف الجمع وتراجع ملوحاً بقطـــع نسيجية بيضاء .

علام ترمز ؟ ..

لست أدرى ؟ ..

كانت لديهم شبكات إتصال ومعلومات مخزونة فى أجهزة تعمــــل بالإلكترونيات يستقون منها علمهم عنـــد الحاجـــة ، فنســـخت جميـــع المعلومات المخزنة فيها سواء المشفر منها وغير المشفر ، وشـــــرعت لدراستها أنا وإيديا كانت عن اللغة والعادات والتقاليد والفكـــر والعلـــم والثقافة وبعضها سرى جداً عن الحروب وأصول الغزو وتقنياته ، ولـــم تمضى لحظات حتى عرفنا كل شئ عنهم ، حتى لغتهم كنا نتكلـــم بـــها أفضل منهم ، لأنهم حرفوا قواعدها ، وهي كالصفير محدود المعانى .

الزمن هو عام ٢٠٢٨ بعد الميلاد حسب المقاييس الزمنية الحديثة أى مرت آلاف بل عدة ملايين من الأعوام الرباعية الفصول منذ أن غادرنا سطح الأرض ، تغيرت خلالها جيلوجيتها بترسيبات ترابية و صخرية نتيجة للزلازل والبراكين .

اليابسة على الأرض تناثرت إلى ست قطع كبيرة ، متفاوتة المساحات سميت فيما بعد بالقارات ، أما قارتنا الأم ابتلعها محيط مائى شاسع هو ما يسمى بلغتهم المحيط الأطلسى الآن ، والمخلوقات التى عليها هى سلالات بشرية تنحدر من أصلابنا ولا أدرى ماذا اعترها ؟

لماذا نحفت وتقزمت هكذا ؟ .

بعدما أصيبت الأرض بالإغراق والدمار وإندثار حيواناتها الفائقة الحجم عندما ضربها زلزال عنيف أستمر دون إنقطاع لعدة شهور ، أنه الزلزال الذى كنت أدرس مصدره ولم أهتدى إليه قبل الرحلة .

ثم ما هذه اللغة القاصرة التى يتحدثونها ؟! ..

كيف سيفهموننا بها ؟ ..

إنها خليط من الصفير وإحتكاك الهواء .. كم هى منفرة ، يقشعر لها البدن ، فقلت لإيديا بائساً :

ــ ماذا سنفعل يا إيديا ؟ .. إننا أغراب على كوكبنا .

ــ كلا سنبحث عن آثارنا ولن نألو جهداً في سبيل العثور عليها .. لا تيأس يا آدوم .

لقد نادتني بإسمي كأني أسمعه منـــها لأول مـــرة .. وأنـــا علـــى الأرض أحس بطعم آخر له .

المزارع حولنا فسيحة قد تكون غابات أو حدائق ، والنبـــات هنـــا آمن يروى بماء طبيعي ، وعلى مرمى البصر منا أبنية حجريــــة ، أو من بعض تراب الأرض حينما يخلط بالماء ويتخلله أسياخ من معـــدن الحديد البدائي الخام والمجدول ، في تناسق هندسي مقبول ، ويقطنـــها كميات كبيرة منهم ، تتخلل هذه البيوت مسارات سوداء مـــن الحجـــر الأسود المجروش يسلكها حشد من المركبات الصغيرة الفولازيـــة ، أو الليفية بألوان زاهية ولكنها تعجز عن الطيران ، وهناك أنواع خاصـــة كبيرة الحجم يمكنها أن تحلق في الهواء بسرعات بطيئة جداً جداً .

الكوكب يحتوي على الماء بكميات تفوق مساحة اليابسة ، وتغلفـــه السحب من كل جانب وهي تسبح في غلاف غازي على ارتفاع شـــاهق تعلوه طبقة إلكترونية بها كمية من الطاقة الكهربية لا بأس بها ، تكفـــي لرحلة واحدة إلي جيتانو .

الناس هنا لا يزيد طول الفرد منهم عن الركبة .. استدرت نحـــو ليديا وسألتها متهكماً :

ـــ هل كنا مثلهم قبل الرحلة وحدث لنا تكبير ؟ .. أم نحن من جيـل العمالقة ؟ .

أومأت برأسها مبتسمة ، ومعلنة عدم المعرفة ، فقد كانت مشـغولة جداً ، ببعض الحسابات .

بعد فترة قصيرة ، أصدرت نداء بلغتهم ، نطلب مقابلـــة رئيــس البلاد أو الحاكم ، ثم من خلال لغتهم أيضاً أخبرونا أنه وافق ، وبعــــد ثلاث ساعات بالزمن الأرضى سيصل للقائنا ..

ثلاث ساعات ! ..

المجرة كلها كنا نجوبها فى زمن أقل من هذا .. ثم ثلاث ســاعات كاملة ننتظره ، حتى يحضر إجتماعنا ! .. قلت وأنا مندهش :

ــ كم هو متخلف هذا الكوكب .

لم أعهد العصبية فى حديثى من قبل ، ولكن ها أنا ذا أثور ــ إنــها سمة هذا الزمان وهذا الكوكب .

وأستمر النداء ..

لقد علمنا كل شئ عنكم وتحدثنا بلغتكم فى غضون دقائق ، ولقــد كنا نعبر أفلاكاً ونجوم فى مثل هذه المدة .. ورئيســكم يحتــاج ثــلاث ساعات حتى يصل إلينا ؟ ..

كيف ذلك ؟ ..

هل سيأتى من النجم القطبى ؟ ..إنا نمهلكم عشر دقائق فقط .

قلتها بلهجة آمرة حازمة ، فنحـــن نســتطيع أن نجعــل تقنياتـــهم وعدتهم وعتادهم ، عديمة النفع ، ونصيبهم بالشلل التام فى الحال .

إن السلوكيات تهذَّب بالرقى الحضارى .. وهى وليدة المكان .

إرتبكت الشوارع ، وإكتظت بالسيارات والناس ، وعمت الفوضـى بالمدينة إلى حد لا يمكن إصلاحه ، بعد ندائى الأخير هـذا ، ووصـل رئيس البلاد مستقلاً طوافة فى التو واللحظة ، ثم اقتربت من حاجزنـا الأمنى الإشعاعى حتى كادت أن تصطدم به ، من فرط شفافيته الفائقـة

هذا الحاجز يحيط بالمركبة تلقائياً عندما تهبط سطح أى كوكـب ، ويستخدم فى الحماية كما أننا نتحكم فيه من الداخل ، فنسمح بـالدخول لمن نريد ونمنع الغير مرغوب فيهم .

نزلت الطوافة بالجوار وخرج منها خمس رجال ، سمحنا لإثنيـن فقط منهم بمرافقة الرئيس عند الدخول ، ثم أهلنا الثلاثة لذلك إشـعاعياً فأخترقوا الجدار ، وتقدموا سيراً نحو المركبة وصعدوها ، ثـم جلـس الثلاثه على كرسى واحد بمساعدة إيديا ، التى أخذت تداعبـهم برفـق وهى مسرورة من برائتهم الشكلية فقط حتى تشعرهم بالأمان ، بينمـا هم يطالعون جميع الأنحاء فى دهشة وذهول من روعة تقنية المركبـة ، ويصدرون همهمة غير مفهومة ، ثم سأل الرئيس مستعلماً :

ـــ من أنتما ؟ .. ومن أى كوكب أتيتما ؟ .

ـــ إننا من الأرض وبالتحديد مـن القـارة الغارقـة ، أو قـارة أطلانتس كما حددتها معلوماتكم الألكترونية .. هذه إيديا .. وأنـا آدوم ، عدنا للبحث عن وطننا الغارق ، هذا كل ما في الأمر ، فمـن أنتـم ؟ إستجمع الرئيس كل غروره وقال :

ـــ نحن أرقى الأجيال التي تعاقبت على الأرض منذ بداية العصـر الحديث أى ما يربو على نحـو عشـرة آلاف سـنة نشـأت خلالـها حضارات إعتمدت على الفلسفة وبعض العلوم البسـيطة ، وتمخـض

عنها بناء الأهرامات ، وفن التحنيط ، ثم فنيت .. أما الأحقاب الغـــابرة دلت حفرياتها أنها لحيوانات ضخمة كالديناصورات ، وغيرهـــا ، لـــم تتكيف لمناخ الأرض الحديث فبيدت تلقائياً ، ولم نعثر بعد على آثاركم

ــ نحن نسبقكم بملايين السنين ، وليس ببضعة آلاف ، أى عندمـــا كانت اليابسة على الأرض متلاصقة .. وهذا هو الزمن المجـــهول ، أو ما تسمونه بالحلقة المفقودة .

ــ أتدعون وبكل هذه التقنية أنكم مـــن الأحقـــاب البـــائدة قبـــل أن تنفصل القارات ؟ .. هل كانت حضارتكم أرقى مننا ؟

وبسخرية قال آدوم :

ــ نعم .. فهى التى مكنتنا من إرتياد الفضـــاء واخـــتراق الزمـــن بأسرع من الضوء ، فلماذا لم تبحثوا عنها ، وتستفيدون منها ؟

وبلهجة بائسة قال الرئيس :

ــ أصاب الأرض دمار شامل من الحـــروب الذريـــة والنوويـــة ، وزلازل عنيفة ضربت قشرتها وقلبتها رأساً على عقب ، ولـــم يتبقـــى من التراث المدفون فيها إلا النادر ، مثل الجثث المحنطـــة ، ونقـــوش على الأحجار ، وقليل من الذهب والفضة ، إكتظـــت بـــها متاحفنـــا .. وكما قلت لم نستدل على حضارتكم .

ــ لم تبحثوا عنها جيداً .

ــ كلا .. بحثنا فلم نعثر إلا على المزيد من الأحجار المنقوشـــة ، والقليل من الذهب ذو المنفعة الإقتصادية .

وبلهجة حادة وأكثر سخرية قال آدوم :

ـــ الذهب .. الذهب .. تبنون حياتكم على المعادن ؟ .. أين الطاقـة إذن ؟

ـــ بالذهب وما نستخرجه من باطن الأرض نولد الطاقة .

ـــ ماذا يحدث لو انتهت تلك المعادن ؟ .

ـــ نحارب من أجل الحصول عليها .

ـــ تعيشون على كوكب واحد ، كأسرة واحدة ، وينـهب بعضكـم البعض ! أي منطق وأي فلسفة هذه التي تحيون بها ؟ .

ـــ فلسفة البقاء للأصلح .

ـــ هل عندما ولدت ، كنت صالحاً قوياً لأن تجابه هذه الحياة التـي أنتم عليها الآن .

سألت والحسرة تملأني على ما آل إليـه حـال الأرض .. فقـال الرئيس :

ـــ الفرد جزء من الجماعة ، وصلاحية الفرد وقوته مـن سـلطان الجماعة

ـــ لماذا لم تفكروا بإصلاح شأن الضعيف منكم ؟ .. ففيها إسـتفادة أكبر

ووجدتني أدخل في حوار ليس له هدف إلا الإصلاح وتوجيه اللوم بعد أن تيقنت أن حضارتهم هي حضارة الحضيض ، ثم استتبعت حديثي قائلاً :

ـــ إن الدمار الذي لحق بكم نتج مما إعترى أنفسكم من أطماع ورزائل كانت أقوى من القنابل النووية وغيرها .. القنبلة ستفتك ببرئ أو ظالم ليفنى بينما الصفات التي تتصفون بها صنعت منكم أعداء لأنفسكم ولغيركم وهذا هو الدمار الشامل .

ـــ إننا نحاربها قدر المستطاع .

ـــ لا بل أقل من المستطاع فلديكم الكثير والكثير لم تستخدمونه بعد

ـــ علمنا وصفي ظاهري ، ليس كعلمكم الجوهري .. فربما يكون هذا سبباً لتخلفنا عنكم .

ـــ الجوهر والمظهر متلازمان ويدل أي منهما على الآخر فلو بحثتم من خلال المظهر على الجوهر لظفرتم بما شئتم ، ولكن غرّكم بريق المظهر وظننتم أنها النهاية أو القمة ، فالحسرة كل الحسرة ، أنتم ما زلتم في البداية وتذكروني بالقبائل الهمجية المتطفلة التي كانت تغير علينا ولا تستطيع .. ولكنكم الآن أفضل منهم على الأقل علمياً .. ثم تعتمدون على الطبيعة لتمدكم بالموارد التي تشكلون منها حوائجكم ، ولم تفكروا في البديل عندما تنقرض هذه الموارد ، أمامكم الكثير والكثير حتى تغزو الفضاء وتستفيدون منه ، إن به ثروات تغطي كافة احتياجات شعوبكم .

ـــ نحن نمول كافة البحوث العلمية لإرتياد الفضاء .

ـ لا .. لقد كشفنا عنكم ومن خلال معلوماتكم المخزونة سراً فـــي شبكات الإتصال المختلفة عندكم ، وجدنا أنكم تبددون أموالاً ، وثـروات طائلة ، في صنع أسلحة تدميرية ، ثم تطورونها لغزو جيرانكم ، كمـــا تتفننون في تركيب كيماويات ، تفتك بالعقل وتلوث الفكر وتصدرونـــها للشعوب الأخرى حتى تتخلف عنكم ، فتنـــهبوها ، أي إســـتطاعة إذن تتسلحون بها ، حتى تحاربوا الفقر والجهل والمرض ، وتعلمون تمـــام العلم أنها الآفات التي تنهشـــكم وتـــهدد أمنكـــم ؟ أي اســـتطاعة إذن تتسلحون بها لمحاربة تلك الأطماع ، ثم تعملـــون بكـــل جـــهد علـــى تطويرها وزيادة تقنياتها .. أليست لكم عباده ؟ ..

ـ نعم لدينا عبادات كثيرة ومتنوعه .

ـ ولماذا التنوع ؟ .. هل هناك آلهة غير الخالق الأعظم تؤمنـــون بها ؟ .

ـ كلا ولكنها سبل مختلفة للتقرب إليه .

ـ عظيم .. فالعبادات عندكم راقية ، وأظن أنكم لا تستفيدون منها

ـ ما الذي نأى بكم عن الوطن ؟ .

سألني الرئيس بأسلوب ينم عن خبث ودهاء ، وهو قاطب لجبينه ، لتغيير مجرى الحديث ، وهذا من عادات صناع السياسة وحكـــام هـــذا الزمان ، عندما يحاولون الهرب مـــن المواقـــف الحرجـــة أو عندمـــا يواجهون بالحقيقة التي تؤلمهم ، ثم قصصت عليـــهم بإقتضـــاب كـــل الرحلة من الألف إلى الياء وكنت أسجل كلماتي في عقولهم الإلكترونية حتى تخلد وتتناقلها الأجيال القادمه .

انقضى وقت طويل في الحديث ، بين نقد وتوجيه لإصلاح الفساد الذي لحق بحضارات الأرض ، ثم شرح الوسائل التي تعمل على رقي الشعوب كافة وقد أبدينا رغبتنا للمساعدة عملياً وعلمياً ، وقد وضعنا برنامجاً للإصلاح ونقل التقنية .

لقد بدأ حماس الإستقرار يصول ويجول في أرجائي ، بعد أن خمده حديثي مع الرئيس ، فما أجمل أن تكون نافعاً ومفيداً ، ومرغوب فيك لهدف سامي ونبيل ، فالأرض أرضنا ، وخلقنا لكي نعمرها ، وكم أتمنى أن تصبح كزافيوس .

ثم استأذنوا بالإنصراف على أمل اللقاء مرات أخرى ، لعمل التجهيزات اللازمة للتنفيذ دون كلفة منهم ، ثم طلبت عدم إقتراب أي شخص من المركبة خشية إيذائه من الشعاع السياجي ، حينما يتعرض له ولفترات طويلة

كان الحرس بسياراتهم المتلألئة بالألوان الحمراء والزرقاء يحيط بالسياج ، والأطفال تأتي أفراد وجماعات وأنظارهم تتملق المركبة بشغف ناهم ، وحب استطلاع رهيب ، ومن بين هذه الجموع اللطيفة ، أعجبت إيديا بطفلة رقيقة ، تشع جمالاً وعذوبة ، لم ترهبنا ، وعلى الفور ، سمحت لها إيديا بالإختراق ، فإحتضنتها وانهالت عليها تقبيلاً ، بينما بقية الأطفال يجرون من خلفها ، فيصطدم بعضهم بالجدار ، والبعض الآخر يمنعه الحرس من الاقتراب ، إنها الأمومة ، في كل زمان ، ولكل أنثى .. أخذت إيديا تداعب الطفلة وهي جالسة على كفها الأيمن ، والجميع من الخارج يطالع هذا الحنان المتدفق ، بغير حساب إلى أن جاء أهلها وهم يلوحون بأيديهم ، فلما رأتهم بكت الطفلة ، وأسرعت إيديا بتوصيلها للخارج .

وعدت لإيديا الباحثة عن الوطن وعن الزواج وعن قارة أطلانتس القارة المفقودة .. عدت لإيديا الباحثة عن الأهل والمجتمـــع والزمـــان والإستقرار وبالأحرى عدت لإيديا المفقودة .

قديماً قال عراف لأمي : أني سأحيا زماناً غير زمانـــها ، ويـــأتي هذا الزمان بعد ملايين من الأجيال التي تأتي بعد جيلها وأجوب أكوانـــاً غير الأكوان سأعيش فيها حتى نهاية عمري .. ثـــم همـــهم بصفـــير عرفت الآن أنها لغة البشر الحالية .. لم تفهمه أمي ولا أنـــا فصـــارت تخاف عليّ ، بينما الفرحة لا تفارقها بطول عمري ، وليته ما طال .

كنت في الربيع الخامس ، والأكاديميات التعليمية على أطلانتـس ، تحصد الأطفال في مثل سني ، للتعليم والتربية بالنظام الداخلي وكـــان أهلي دائمي الزيارة ، فلما صار عمري عشر سنوات ضمت الأكاديميـة إلي صفوف أطفالها إيديا التي تخصصت فيما بعد في القيادة والفلـــك ، وأنا في الفيزياء والإتصالات .

سنوات الدراسة كالجندية الصارمة لا تسمح بـــالإختلاط ، ولمـــا تخرجنا إلتحقنا للعمل بالقاعدة الفضائية ، الكامنة بقاع بركـــان خـــامد على سطح أطلانتس لنستمد منه الطاقة ويسمى هيرانتس .. كان العـــالم جيان وقتها ضيفاً زائراً قادماً من كوكب زافيوس ، لتطوير بحوث فـــي الثقوب السوداء وإلقاء المحاضرات بالأكاديمية .

كانت له مكانة جليلة عند العامة والخاصة لم يحظى بها أحد مـــن العلماء قبله ، وكنت عندما أحضر لمحاضراته ، لم ينصرف بالي قـــط أو ينشغل ذهني بشئ غير الذي يقوله ، ولقد تعلمت على يده الكثـــير ، ومن أقواله التي لم أنساها .. إذا زادت عدد الثقوب السوداء في الكـــون

فهذا دليل على إنتقاله وتحويله وإنتهاء زمانه .. وفهمت الآن أننا في آخر هذا الزمان .

لما أصيب جيان بمرضه هذا كنت أنا وإيديا من المرشحين لنقله إلى المستشفى بجيتانو ، ولنقص في تدريبنا تخطانا هذا الشرف ، فأصابنا الإحباط وخرجنا من الإجتماع ، لنتعارف ، فطلبت مني توصيلها ، واكتشفت أنها تسكن على بعد ثلاث منازل فقط من منزلنا ، لم أعرفها منذ طفولتنا ؟ يا لها من سنوات الدراسة وأسلوب معاملة النشئ ، ولكنها الأفضل ، فالمراهقه شئ صعب .

المنازل على سطح أطلانتس كانت من السيليكون الرملي الشفاف أو هي من الماس الذي يستقطب الضوء باللغة الحالية ، وكانت له ألوان مختلفة وفاتحة ، فيجعلك ترى الخارج وأنت محجوب عنه ، وهي متراصة بحدائق فاصلة غناء ، وتروى بالماء الطبيعي المتوفر بغزارة .

الشوارع مرمرية الصنع ، والأمطار متقطعة وخفيفة كحبات الندى المتناثر ليحفظ القارة في ربيع دائم ، والحياة هادئة وديعة ليس فيها ملل ، لقد غرقت هذه الحياة بما فيها من أهل وجمال وثروات وآثار هائلة لا تقدر بثمن تحمل معها ذكريات ، لازلنا نعيش أطلالها ، وعدت مع إيديا نبحث عنها .

أقلعنا بالمركبة ثانية وبكل منا أمل في الإهتداء لأرض الوطن ، وقد قامت إيديا بتغذية العقول الإلكترونية بأدق التفاصيل ، التي أعدتها بحسابات بالغة التعقيد ، حتى بعد انصراف رئيس البلاد وصحبه ، مستفيدة بكل المعلومات والدراسات التي تلقيناها على كوكب بولفانيوس العلمي المثير .

وبينما كنا في فلك ثابت حول الأرض نحدد موقـــع الـــهبوط فـــي المحيط ، رصدت المركبة حريق هائل بـــأحد الغابـــات البعيـــدة عـــن العمران وألسنة اللهب تتأجج من فوقه على مساحات شاسعة ، إنه يمثل كارثة بيئية أودت بحياة جميع الحيوانات والطيور التـــي تتخـــذ فيـــها أوكاراً ، وقضت على أنواع نادرة منها كانت مهددة بالإنقراض ، كنـــا نطالع بإشفاق ، وكيف أن هذه الحشود البشرية لا تســـتطيع أن تفعـــل شيئاً .

لقد كانت تستخدم الماء للإطفاء ، فتلقف هذه الألسنة أفراداً منـــهم لتتفحم وتلقي حتفها على الفور ، ثم أرى طوافات طائرة تقـــذف بمـــادة بيضاء غبارية لم تعيرها الألسنة أي انتباه ، فيتساقط بعضها وينفجـــر ، ولذلك سلطت إيديا أشعة خاصة لوقف هذا التفاعل الكيميائي النشـــط ، فيخمد الحريق في الحال إلى غير رجعة ، ثم عدنا لمهمتنا مرة أخـــرى إلى القارة المفقودة في أعماق المحيط الذي إبتلع تراثنا .

غاصت المركبة أغوار المحيط العميق ، نبحث في كل مكان عـــن وطننا فوجدنا القاع ، عالم غير العالم على اليابسة ، أسماك هنا وهنـــاك ذات أحجام وألوان زاهية ومختلفة ، تعيش على الفطرة ويأكل كبيرهـــا الصغير منها والضعيف ، مثل البشر على اليابسة .

رست المركبة على مكان حددته إيديا بمنتهى الدقـــة ، وأظـــن أن هذا العمق السحيق لم تطأه قدم من قبل لخطورته وزيـــادة ضغطـــه ، وبواسطة الأزرعة الميكانيكية والبرم الإشعاعي ، بدأ الحفر والتنقيب ، حتى وصلنا إلى قطعة زجاجية صلبة أكبر من مركبتنا ، وفـــي حجـــم منازلنا قديماً ، كان من الصعب تفتيتها ، وإيديا بكل ما عندها من عـــزم تواصل الحفر ..

آه من النساء وإصرارهن .. لقد كانت هذه القطعة ، منزل والديـها فلما أحدثنا نفقاً به ، دخلته وأنا من خلفها .. يا لها من إمرأه عنيـدة .. إنها تبحث عن شئ ما كانت تخفيه عنـي ، فوجدتـه ، إنـه البللـورة المقدسة ، الخاصة بتقاليد القران أيام أطلانتـس ، وهـي موروثـة ، وتتناقلها الأجيال بالتزاوج ، وتهديها العروس لزوجها يـوم الزفـاف ، إنها كانت هدف إيديا وشاغلها الشاغل .

ــ كم أحبك يا إيديا .. كم أحبك .. يالك من إمـرأه تبحـث عـن الاستقرار

قلتها بنشوة الرجل المتيم ، عندما يجد من يبحث عنه ، ويفضلـه ، ويجعل له المكانة الأولى عنده ، فحبي لـها عمـره ملاييـن السـنين بالقياس الأرضي ، وعشرات الإشراقات بحساب زافيـوس ، وحينمـا وجدت إيديا البللورة ، اعتلى وجهها الجميل البرئ سعادة لم أشهد مثلها من قبل .

ثم صعدنا المركبة ، بعد أن حددنا موقع مدينتنـا بدقـة وزودنـاه بالعقول الإلكترونية كسر من أسرارنا ، نفاجئ به آفرون ، على وعـد وإصرار أن نعود مرة أخرى ، للتنقيب عن المزيد والمزيد من تراثنـا الذي يصنع لنا أصولنا ، ويعيد أمجادنا .

لقد كانت البللورة هي كل ما يهم إيديا ، ومن ثم لم تفكـر بمكـان السكن ، أن يكون على الأرض أو في أي كوكب آخر ، المهم أن أكون معها ، لذا اتصلت بالأصدقاء على زافيوس ، وطرنـا إلـى الشـمال الثلجي من الأرض والذي يطلق عليه سيبيريا ، فـهي تشـبه وطننـا المفقود ، حيث لا غبار ولا تلوث ، لنحيي فيها عرسنا .

بعد أن إنقضى ليل ذلك اليوم الذي وجدنا فيه البللورة وقبل غروب شمس اليوم التالي له ، وإذا بعشرون مركبة تحلق في سماء سيبيريا في حلقات راقصة ، والأضواء ذات الألوان البديعة تسطع عليها سبع ليال سوياً ، دون إنقطاع ، وبعد أن حطت جميع المركبات من حولنا ، ونزل منها حشد هائل من الأصدقاء ، على رأسهم آفرون والحاكم وكبير المعلمين بكوكب بولفانيوس وهذا العجوز جيان يمشي بتثاقل بينهم ، ولفيف من الجيران ، وزوجات الجميع ، محملين بالهدايا الثمينه ، وأمامهم تقدمت إيديا نحوي لتقدم البللورة المقدسة كرمز للقران وتشهدهم عليه ، فتقبلتها وقبلتها ، والتصفيق الحاد يدوي بآذاننا ثم أمر الحاكم بقصر منيف على زافيوس هدية عرسنا ، وهكذا كان زواجي بإيديا .

ألم بنا اليأس ، وتبدل الخوف مكان الأمل ، حينما علمت أن أهل الأرض ، يدبرون لإحتكار التقنية والعلم الذي وضعنا برنامجاً لتنفيذه ، ثم يستغلونه في نهب المزيد من الثروات .

غريب أمر آفرون ، كيف تنبأ بهذا .. ورفض العودة معنا ؟

إنها البصيرة التي لا تولد عن علم ، أو هي الحاسة السادسة الموجودة لدى كل مخلوق أرضي ، ويستطيع أو لا يستطيع أن يستفيد منها ، فهي لا تكتسب بالتعلم ، إنها العقل الباطن الفطري الباقي إلى اللازمان .

سنهجر الأرض ..

لم نعد من أهلها ..

لذا كان إصرار الحاكم هذه المرة قوياً خوفاً علينا ، سنعود أدراجنا ، إلى زافيوس بصحبتهم ، حيث جيان وآفرون ، حيث لا شر أو طمع ، أو حيث المصير المجهول ، ذلك هو الشئ الذي كان أهل زافيوس يكتمونه عنا وهو :

أن الأم لم تعد هي الأم

تمت

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٣٣٧ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي .I.S.B.N
977-5414-23-7

تليفون المؤلف
٠١٠١٤٥٨٤٩٨

صدر للمؤلف عن مكتب النيل للطبع والنشر

- الإنسان ليس للبيع سنة ٢٠٠١
  (روايتان في كتاب)
- رحلة إلي عمق الكون سنة ٢٠٠١

تحت الطبع

- أنهار الشمس (رواية من الخيال العلمي)
- للوجود فكرة (كتاب علمي)

الناشـــر

مكتب النيل للطبع والنشر

١٢ شارع عبده بدران

ميدان الباشا - المنيل

ت : ٣٦٢٢٥٧٨